اترك عند الناس أطيب الأثر

وكن رجلا إن أتوا بعده يقولون: مر وهذا الأثر!

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

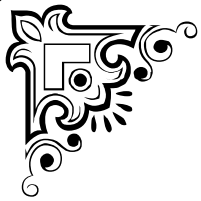

دَلَائِلُ أَهَمِّيَّةِ آثَارِ الْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ

فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يُحْيِي الْأَمْوَاتَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَمَا سَنُّوا مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ، وَكُلَّ شَيْءٍ حَفِظَهُ وَعَدَّهُ وَأَثْبَتَهُ فِي أَصْلٍ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِآخِرَتِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، **وَيَكْتُبُ** جَلَّوَعَلَا **آثَارَ كَسْبِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ**، وَذَلِكَ بِمَا سَنُّوهُ مِنَ السُّنَنِ الْحَسَنَةِ أَوِ السَّيِّئَةِ؛ لِأَنَّهُ جَلَّوَعَلَا قَدْ أَحْصَىٰ وَعَدَّ وَأَثْبَتَ فِي أَصْلٍ عَظِيمٍ كُلَّ شَيْءٍ، وَكُلُّ أَمْرٍ وَاضِحٌ جَلِيٌّ مُظْهَرٌ لِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.(*).

لَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى أَنَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا **يَكْتُبُ لِلْمَرْءِ مَا قَدَّمَ فِي حَيَاتِهِ، وَآثَارَ أَعْمَالِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

«﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس:١٢] أَيْ: نَبْعَثُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِنُجَازِيَهُمْ عَلَىٰ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ مِن: «مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [يس: ١٢].

الْأَعْمَالِ، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ [يس:١٢] مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهُوَ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا وَبَاشَرُوهَا فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ، ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس:١٢] وَهِيَ آثَارُ الْخَيْرِ وَآثَارُ الشَّرِّ الَّتِي كَانُوا هُمُ السَّبَبَ فِي إِيجَادِهَا فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ وَفَاتِهِمْ، وَتِلْكَ الْأَعْمَالُ الَّتِي نَشَأَتْ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

فَكُلُّ خَيْرٍ عَمِلَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِسَبَبِ عِلْمِ الْعَبْدِ وَتَعْلِيمِهِ أَوْ نُصْحِهِ، أَوْ أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ نَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ عِلْمٍ أَوْدَعَهُ عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِينَ، أَوْ فِي كُتُبٍ يُنْتَفَعُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، أَوْ عَمِلَ خَيْرًا؛ مِنْ صَلَاةٍ، أَوْ زَكَاةٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ إِحْسَانٍ، فَاقْتَدَىٰ بِهِ غَيْرُهُ، أَوْ عَمِلَ مَسْجِدًا، أَوْ مَحَلًّا مِنَ الْمَحَالِّ الَّتِي يَرْتَفِقُ بِهَا النَّاسُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ آثَارِهِ الَّتِي تُكْتَبُ لَهُ، وَكَذَلِكَ عَمَلُ الشَّرِّ؛ وَلِهَذَا: **«مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(١).

وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُبَيِّنُ لَكَ عُلُوَّ مَرْتَبَةِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ وَالْهِدَايَةِ إِلَىٰ سَبِيلِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَطَرِيقٍ مُوَصِّلٍ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَنُزُولَ دَرَجَةِ الدَّاعِي إِلَىٰ الشَّرِّ، الْإِمَامِ فِيهِ، وَأَنَّهُ أَسْفَلُ الْخَلِيقَةِ، وَأَشَدُّهُمْ جُرْمًا، وَأَعْظَمُهُمْ إِثْمًا.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾: مِنَ الْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ وَغَيْرِهَا ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢] أَيْ: كِتَابٍ هُوَ أُمُّ الْكُتُبِ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ الْكُتُبِ الَّتِي تَكُونُ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ»(٢).

---

(١) أخرج مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨١٤).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء:٨٣-٨٤].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- مُخْبِرًا عَنْ مَسْأَلَةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ إِيَّاهُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشعراء:٨٣] يَقُولُ: رَبِّ هَبْ لِي نُبُوَّةً ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يَقُولُ: وَاجْعَلْنِي رَسُولًا إِلَىٰ خَلْقِكَ؛ حَتَّىٰ تُلْحِقَنِي بِذَلِكَ بِعِدَادِ مَنْ أَرْسَلْتَهُ مِنْ رُسُلِكَ إِلَىٰ خَلْقِكَ، وَائْتَمَنْتَهُ عَلَىٰ وَحْيِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُ لِنَفْسِكَ، **وَاجْعَلْ لِي فِي النَّاسِ ذِكْرًا جَمِيلًا، وَثَنَاءً حَسَنًا بَاقِيًا فِيمَنْ يَجِيءُ مِنَ الْقُرُونِ بَعْدِي**»(١).

«دَعَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام رَبَّهُ فَقَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الشعراء:٨٣] أَيْ: عِلْمًا كَثِيرًا أَعْرِفُ بِهِ الْأَحْكَامَ، وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَأَحْكُمُ بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء:٨٣]: مِنْ إِخْوَانِهِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء:٨٤] أَيِ: اجْعَلْ لِي ثَنَاءَ صِدْقٍ مُسْتَمِرًّا إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، فَوَهَبَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ مَا كَانَ بِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَلْحَقَهُ بِإِخْوَانِهِ الْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَهُ مَحْبُوبًا مَقْبُولًا مُعَظَّمًا مُثْنًىٰ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْمِلَلِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات:١٠٨-١١٠]»(٢).

---

(١) «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٩٣-٥٩٤).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٩٤).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار: ٥].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: عَلِمَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ لِذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُهُ، وَأَخَّرَتْ وَرَاءَهُ مِنْ شَيْءٍ سَنَّهُ فَعُمِلَ بِهِ، مَا أَخَّرَ: هُوَ مَا سَنَّهُ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ مِمَّا إِذَا عَمِلَ بِهِ الْعَامِلُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الْعَامِلِ بِهَا، أَوْ وِزْرِهِ»(١).

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [القيامة: ١٣].

«يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: يُخْبَرُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ، يَعْنِي: يَوْمَ يُجْمَعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَيُكَوَّرَانِ، ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ [القيامة:١٣].

ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ اللهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُنَبَّأُ بِكُلِّ مَا قَدَّمَ أَمَامَهُ مِمَّا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي حَيَاتِهِ، وَأَخَّرَ بَعْدَهُ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ، كَذَلِكَ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ عَمِلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَأَخَّرَ بَعْدَهُ مِنْ عَمَلٍ كَانَ عَلَيْهِ فَضَيَّعَهُ فَلَمْ يَعْمَلْهُ مِمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَلَمْ يُخَصِّصِ اللهُ مِنْ ذَلِكَ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يُنَبَّأُ بِهِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ [النحل: ٢٥].

«وَحَمَلُوا وِزْرَهُمْ وَوِزْرَ مَنِ انْقَادَ لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل:٢٥] أَيْ: مِنْ أَوْزَارِ الْمُقَلِّدِينَ الَّذِينَ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٧٥-١٧٧).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٨٨-٤٩١).

إِلَّا مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، فَيَحْمِلُونَ إِثْمَ مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فَكُلٌّ مُسْتَقِلٌّ بِجُرْمِهِ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ مَا عَرَفُوا، ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أَيْ: بِئْسَ مَا حَمَلُوا مِنَ الْوِزْرِ الْمُثْقِلِ لِظُهُورِهِمْ مِنْ وِزْرِهِمْ وَوِزْرِ مَنْ أَضَلُّوهُ»(١).

وَكَذَلِكَ أَوْلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُشَرَّفَةُ اهْتِمَامًا عَظِيمًا بِآثَارِ الْأَعْمَالِ؛ لِحَثِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الِاجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَتَعَدَّى نَفْعُهُ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**»(٣). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

«**وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»: كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ عَمِلَهُ فَأَخَذَ عَلَيْهِ ثَوَابًا، وَتَحَصَّلَ مِنْ وَرَائِهِ عَلَىٰ أَجْرٍ؛ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مِثْلُ ذَلِكَ الْأَجْرِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -أَيْضًا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٥٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤١) واللفظ له، وابن خزيمة (٢٤٩٥)، وابن حبان (٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٩٩) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»(١).

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(*).

وَعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ -أَوِ: الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ؛ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِمَا رَأَىٰ بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾** [النساء:١].. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، **﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾** [النساء:١]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: **﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ﴾** [الحشر:١٨]، **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ**، حَتَّىٰ قَالَ: **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

قَالَ: «فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا؛ بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّىٰ رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ لِلْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ رحمه الله» (الْمُحَاضَرَة: ٢٠)، الثُّلَاثَاءُ ٢٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٩هـ| ١-٤-٢٠٠٨م.

عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❀❀❀

(١) تقدم تخريجه.

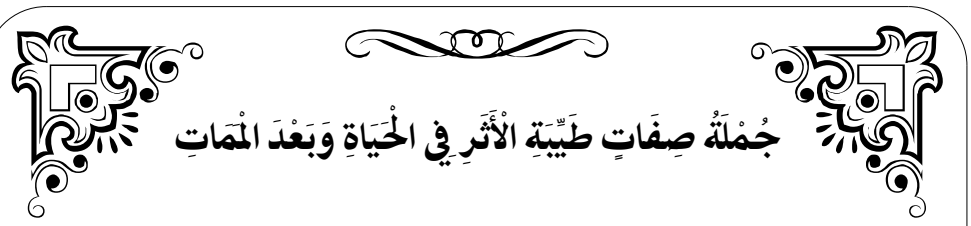

جُمْلَةُ صِفَاتٍ طَيِّبَةِ الْأَثَرِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ

لَقَدْ أَرْشَدَ الْإِسْلَامُ إِلَى أَنْ يَجْتَهِدَ الْمُسْلِمُ فِي التَّحَلِّي بِصِفَاتٍ طَيِّبَةٍ، وَخِصَالٍ حَمِيدَةٍ، وَأَنْ يَجْتَهِدَ فِي فِعْلِ الصَّالِحَاتِ، وَالنَّافِعِ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ لِيَتْرُكَ أَثَرًا حَسَنًا طَيِّبًا فِي النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَكْسِبَ أَجْرَ مَا تَرَكَهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَدُومُ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ لَهُ أَنْ يَدُومَ، وَهَذَا مِنْ إِكْرَامِ اللهِ -تَعَالَى- لِعِبَادِهِ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ..

إِذَا كَانَ عَلَىٰ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ مُقِيمًا..

وَكَانَ لِلْخَيْرِ مُوَاصِلًا..

وَكَانَ عَلَىٰ الْبِرِّ مُقْبِلًا..

وَكَانَ فِي الْخَيْرَاتِ بَاذِلًا..

إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَطُوبَىٰ، ثُمَّ طُوبَىٰ، ثُمَّ طُوبَىٰ.

إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ مَبْذُولَةً لِلَّهِ..

إِذَا كَانَ الْمَرْءُ سَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ..

إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ حَرِيصًا عَلَىٰ مَرْضَاةِ اللهِ..

إِذَا كَانَتِ النَّزَوَاتُ بَعِيدَةً..

وَالشَّهَوَاتُ مُضْمَحِلَّةً..

إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ رَبِّهِ مُقْبِلًا..

وَعَنِ الشَّهَوَاتِ مُدْبِرًا..

وَلِهَذَا الدِّينِ بَاذِلًا؛ فَمَا يَضُرُّهُ أَنْ يَمُوتَ؟! مَا يَضُرُّهُ أَنْ يَمُوتَ؟!

أَلَا إِنَّهَا الْبِدَايَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلْحَيَاةِ الْحَقِّ![*].

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٨هـ| ٢٤-٨-٢٠٠٧م.

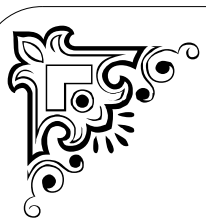

مَرَّ وَهَذَا أَثَرُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ!

وَخُذْ لَكَ زَادَيْنِ مِنْ سِيرَةٍ ... وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُدَّخَر
وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفَ الْخُطَا ... شَرِيفَ السَّمَاعِ كَرِيمَ النَّظَر
وَكُنْ رَجُلًا إِنْ أَتَوْا بَعْدَهُ ... يَقُولُونَ مَرَّ وَهَذَا الْأَثَر

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا لِطِيبِ أَثَرِ الْمَرْءِ بَعْدَ مَمَاتِهِ: الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ، أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَنْ يَسْتَقِيمَ فِي حَيَاتِهِ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ؛ فَالْعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَهَا أَهَمِّيَّةٌ كُبْرَىٰ تَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ:

* **أَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ أُرْسِلُوا بِالدَّعْوَةِ لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

* **وَتَحْقِيقُ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَإِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ هُوَ الْغَايَةُ الْأُولَىٰ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

* **وَقَبُولُ الْأَعْمَالِ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ مِنَ الْعَبْدِ، وَكَمَالُ أَعْمَالِهِ**

عَلَىٰ كَمَالِ التَّوْحِيدِ؛ فَأَيُّ نَقْصٍ فِي التَّوْحِيدِ يُحْبِطُ الْعَمَلَ، أَوْ يُنْقِصُهُ عَنْ كَمَالِهِ الْوَاجِبِ أَوِ الْمُسْتَحَبِّ.

* **وَالنَّجَاةُ فِي الْآخِرَةِ ابْتِدَاءً أَوْ مَآلًا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَىٰ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ**، مِمَّا يُبْرِزُ أَهَمِّيَّةَ تَعَلُّمِهَا وَاعْتِقَادِهَا عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ.

قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* **فَهَذِهِ الْعَقِيدَةُ تُحَدِّدُ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ؛ مَعْرِفَةً، وَتَوْحِيدًا، وَعِبَادَةً شَامِلَةً لِلهِ -تَعَالَىٰ-**؛ بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالْمُرَاقَبَةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالتَّقْوَىٰ وَالْإِنَابَةِ، وَرِعَايَةً تَامَّةً مِنَ اللهِ لِلْعَبْدِ؛ نُطْفَةً، وَصَغِيرًا، وَكَبِيرًا، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، رِزْقًا وَإِنْعَامًا، وَحِفْظًا وَعِنَايَةً وَإِحْسَانًا.

* **وَالسَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا أَسَاسُهَا الْعِلْمُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ-**؛ فَحَاجَةُ الْعَبْدِ إِلَىٰ رَبِّهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، فَلَا رَاحَةَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ إِلَّا بِأَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

* **وَهَذِهِ الْعَقِيدَةُ تُجِيبُ عَنْ جَمِيعِ التَّسَاؤُلَاتِ الَّتِي تَرِدُ عَلَىٰ ذِهْنِ الْعَبْدِ**، وَمِنْ ذَلِكَ: صِفَةُ الْخَالِقِ، وَمَبْدَأُ الْخَلْقِ وَنِهَايَتُهُ، وَغَايَتُهُ، وَالْعَوَالِمُ الْكَائِنَةُ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَهَا، وَمَوْضُوعُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٦)، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

* وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّةِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: تَرْكِيزُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ مَوْضُوعِ الْعَقِيدَةِ بَيَانًا وَتَقْرِيرًا، وَتَصْحِيحًا وَإِيضَاحًا وَدَعْوَةً.

* وَالْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ سَبَبُ الظُّهُورِ وَالنَّصْرِ، وَسَبَبُ الْفَلَاحِ فِي الدَّارَيْنِ؛ فَالطَّائِفَةُ الْمُتَمَسِّكَةُ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ هِيَ الطَّائِفَةُ الظَّاهِرَةُ وَالنَّاجِيَةُ وَالْمَنْصُورَةُ الَّتِي لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَذَلَهَا وَلَا مَنْ خَالَفَهَا، قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»(١).

وَالْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ مَا يَعْصِمُ الْمُسْلِمَ مِنَ التَّأَثُّرِ بِمَا يُحِيطُ بِهِ مِنْ عَقَائِدَ وَأَفْكَارٍ فَاسِدَةٍ.

وَفِي الْجُمْلَةِ؛ فَالْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدِّينُ، وَتَصِحُّ مَعَهُ الْأَعْمَالُ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ وَمَا جَاءَ بِمَعْنَاهَا -وَهُوَ كَثِيرٌ- عَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ لَا تُقْبَلُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ خَالِصَةً مِنَ الشِّرْكِ.

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ اهْتِمَامُ الرُّسُلِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- بِإِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ.

أَوَّلًا؛ فَأَوَّلُ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَقْوَامَهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَدْ بَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَكَّةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَإِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ؛ لِأَنَّهُ الْأَسَاسُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ بِنَاءُ الدِّينِ.

وَقَدِ احْتَذَىٰ الدُّعَاةُ وَالْمُصْلِحُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ حَذْوَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَكَانُوا يَبْدَؤُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَإِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ، ثُمَّ يَتَّجِهُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْأَمْرِ بِبَقِيَّةِ أَوَامِرِ الدِّينِ.(*).

إِنَّ لِلْعَقِيدَةِ دَوْرًا مُهِمًّا فِي صِنَاعَةِ الْمُسْلِمِ النَّاجِحِ الَّذِي يُسْهِمُ إِسْهَامَاتٍ إِيجَابِيَّةً فِي بِنَاءِ مُجْتَمَعِهِ؛ فَالْعَقِيدَةُ هِيَ أَسَاسُ صَلَاحِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَأَسَاسُ صَلَاحِ الْأُسَرِ وَالْأَفْرَادِ، وَإِذَا صَلَحَتْ عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ فَإِنَّهُ يَقُومُ بِدَوْرٍ فَعَّالٍ فِي صِنَاعَةِ مُجْتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ مُتَمَيِّزٍ؛ فَيَكُونُ لِذَلِكَ أَثَرٌ طَيِّبٌ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.

«وَهَذِهِ عَقِيدَتُنَا -عَلَىٰ سَبِيلِ الِاخْتِصَارِ- عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهِيَ: الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(١) الْإِيمَانُ بِاللهِ:

* **فَنُؤْمِنُ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-**، أَيْ: بِأَنَّهُ الرَّبُّ، الْخَالِقُ، الْمَالِكُ، الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «أَهَمِّيَّةُ إِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ».

وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالْخَلْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ.

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِأَفْعَالِهِ.

* **وَنُؤْمِنُ بِأُلُوهِيَّةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-**، أَيْ: بِأَنَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ.

تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

* **وَنُؤْمِنُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**، أَيْ: بِأَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةَ الْعُلْيَا.

تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ -سُبْحَانَهُ- بِمَا سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

- **الْإِيمَانُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ**، أَيْ: بِأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا فِي أُلُوهِيَّتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥].

* **نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ:**

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ لَهُ الْخَلْقُ وَالتَّدْبِيرُ:**

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لَهُ مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلْقًا وَتَدْبِيرًا؛ فَهُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى:٤٩-٥٠].

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ:**

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى:١١-١٢].

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ:**

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود:٦].

كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ إِنْسَانٍ وَغَيْرِ إِنْسَانٍ؛ أَيُّ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ رِزْقُهَا عَلَىٰ اللهِ ﷻ، هُوَ الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ.

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ:** ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩].

﴿مَفَاتِحُ﴾ [الأنعام:٥٩]: جَمْعُ (مِفْتَاح)، وَفِيهَا قَوْلَانِ: إِمَّا الْمِفْتَاحُ الَّذِي تُفْتَحُ بِهِ الْأَبْوَابُ، وَإِمَّا الْمَكَانُ الَّذِي يُفْتَحُ، يَعْنِي: مُسْتَوْدَعَاتُ الْعِلْمِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهَا تَشْمَلُ الْجَمِيعَ.

وَالْغَيْبُ: مَا كَانَ غَائِبًا، وَهُوَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ؛ لَكِنَّ الْغَيْبَ الْمُطْلَقَ عِلْمُهُ خَاصٌّ بِاللهِ.

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ:** ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان:٣٤].

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان:٣٤]: يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْآيَةِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْلَمُ مَاذَا يَكْسِبُ غَدًا، وَإِنْ قَدَّرَ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ هَلْ سَيَحْصُلُ أَوْ لَا.

وَيُسْتَفَادُ -أَيْضًا- أَنَّ مَنِ ادَّعَىٰ عِلْمَ الْغَيْبِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ سَوَاءٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ اللهِ ﷻ، أَوْ بِفِعْلِ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان:٣٤]، وَتَكْذِيبُ الْقُرْآنِ كُفْرٌ صُرَاحٌ.

- **الْإِيمَانُ بِصِفَةِ الْكَلَامِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مَتَىٰ شَاءَ كَيْفَ شَاءَ:** ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم:٥٢].

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ:** ﴿لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف:١٠٩]، ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

الْإِيمَانُ بِصِفَةِ الْكَلَامِ: هُوَ الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَزَالُ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ، وَكَلَامُهُ بِصَوْتٍ، وَهَذَا الصَّوْتُ لَيْسَ كَأَصْوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يَسْمَعُهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَىٰ عليه السلام مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَمَنْ أَذِنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَيُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُكَلِّمُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْكَلَامُ بِوَاسِطَةِ الْوَحْيِ إِلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِلَا وَاسِطَةٍ؛ كَكَلَامِهِ -تَعَالَىٰ- لِمُوسَىٰ، وَمُحَمَّدٍ، وَآدَمَ، وَحَوَّاءَ، وَجِبْرِيلَ.

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ أَتَمُّ الْكَلِمَاتِ وَأَكْمَلُهَا:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ كَلِمَاتِهِ أَتَمُّ الْكَلِمَاتِ؛ صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ، وَحُسْنًا فِي الْحَدِيثِ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥].

وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧].

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَلَامُ اللهِ -تَعَالَىٰ-، تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَأَلْقَاهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ، فَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَىٰ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ:** ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

مَا وَجْهُ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ؟

الْجَوَابُ: وَجْهُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَكَلَامُ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ.

- **الْإِيمَانُ بِصِفَةِ الْعُلُوِّ:**

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ ﷻ عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وَقَوْلِهِ:** ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام:١٨].

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ:** ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾ [يونس:٣].

وَاسْتِوَاؤُهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ: عُلُوُّهُ عَلَيْهِ بِذَاتِهِ عُلُوًّا خَاصًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ إِلَّا هُوَ.

مَعْنَىٰ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: هُوَ الِاعْتِقَادُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، بَائِنٌ مِنْهُمْ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.

- **الْإِيمَانُ بِصِفَتَيِ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ:**

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- مَعَ خَلْقِهِ وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ، يَعْلَمُ أَحْوَالَهُمْ، وَيَسْمَعُ أَقْوَالَهُمْ، وَيَرَىٰ أَفْعَالَهُمْ، وَيُدَبِّرُ أُمُورَهُمْ، يَرْزُقُ الْفَقِيرَ، وَيَجْبُرُ الْكَسِيرَ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ كَانَ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً؛ وَإِنْ كَانَ فَوْقَهُمْ عَلَىٰ عَرْشِهِ حَقِيقَةً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾** [الشورىٰ:١١].

لَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْحُلُولِيَّةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ: إِنَّهُ مَعَ خَلْقِهِ فِي الْأَرْضِ!

وَنَرَىٰ أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ أَوْ ضَالٌّ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ اللهَ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ.

الْجَمْعُ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَالْمَعِيَّةِ:

١- أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- وَصَفَ نَفْسَهُ بِهِمَا؛ بِأَنَّهُ عَالٍ، وَبِأَنَّهُ مَعَنَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ اللهُ لِنَفْسِهِ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ أَبَدًا.

٢- أَنَّ الْعُلُوَّ لَا يُنَافِي الْمَعِيَّةَ؛ وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرُ مَعَنَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَعُدُّونَ مَقُولَتَهُمْ هَذِهِ تَنَاقُضًا.

٣- أَنَّ كَوْنَ اللهِ ﷻ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً وَهُوَ عَلَىٰ عَرْشِهِ حَقِيقَةً فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ؛ لِأَنَّ هَذَا جَائِزٌ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، فَفِي حَقِّ الْخَالِقِ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ، وَعَلَىٰ فَرْضِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ فِي حَقِّ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ لِأَنَّهُ -تَعَالَىٰ- لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ.

وَمَعِيَّةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِخَلْقِهِ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الْمَعِيَّةُ الْعَامَّةُ الْمُطْلَقَةُ: هِيَ الَّتِي تَشْمَلُ كُلَّ أَحَدٍ؛ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَبَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَدَلِيلُهَا: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد: ٤].

وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ الْإِحَاطَةَ بِالْخَلْقِ؛ عِلْمًا، وَقُدْرَةً، وَسَمْعًا وَبَصَرًا، وَسُلْطَانًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَالْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ: وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ، وَالْحِفْظَ، وَالتَّوْفِيقَ، وَالْحِمَايَةَ مِنَ الْمَهَالِكِ.

وَالْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ مُرَتَّبَةٌ عَلَىٰ الِاتِّصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ الْمَعِيَّةَ الِاخْتِلَاطُ وَالْحُلُولُ فِي الْمَكَانِ، كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ!

وَلِهَذَا لَمَّا ظَهَرَ هَذَا الْقَوْلُ الْمُبْتَدَعُ الضَّالُّ صَارَ السَّلَفُ يَقُولُونَ: هُوَ مَعَنَا بِعِلْمِهِ، فَفَسَّرُوا الْمَعِيَّةَ بِلَازِمِهَا؛ وَهُوَ الْعِلْمُ، عَلَىٰ أَنَّ لَازِمَ الْمَعِيَّةِ لَيْسَ الْعِلْمَ فَقَطْ،

بَلْ هُوَ مَعَنَا بِعِلْمِهِ، وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ.

- **بَيَانُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ: أَنَّهُ «يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»**(١).

فِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ نُزُولًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نُشَبِّهُهُ بِنُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَفِيهِ -أَيْضًا- إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ للهِ ذِي الْجَلَالِ؛ لِأَنَّ النُّزُولَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْعُلُوِّ.

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَى- يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ ﷻ يَأْتِي يَوْمَ الْمَعَادِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ؛** لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر:٢١-٢٣].

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] يَعْنِي: بَعْدَ دَكِّ الْأَرْضِ، وَالْقَاعِدَةُ: أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِالنُّصُوصِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا، وَنَقُولُ: جَاءَ اللهُ نَفْسُهُ؛ وَلَكِنْ عَلَىٰ أَيِّ كَيْفِيَّةٍ؟ اللهُ أَعْلَمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَالْأَدَبُ مَعَ اللهِ ﷻ بِأَنْ نَقُولَ: يَجِيءُ بِوَجْهٍ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَا نَعْلَمُ عَنْ كَيْفِيَّتِهِ شَيْئًا.

- **الْإِيمَانُ بِصِفَةِ الْإِرَادَةِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ -تَعَالَىٰ-:** ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦].

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ إِرَادَتَهُ -تَعَالَىٰ- نَوْعَانِ:**

- **كَوْنِيَّةٌ:** يَقَعُ بِهَا مُرَادُهُ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَحْبُوبًا لَهُ، وَهِيَ الَّتِي بِمَعْنَىٰ الْمَشِيئَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود:٣٤].

- **وَشَرْعِيَّةٌ:** لَا يَلْزَمُ بِهَا وُقُوعُ الْمُرَادِ، وَلَا يَكُونُ الْمُرَادُ فِيهَا إِلَّا مَحْبُوبًا لَهُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧].

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ إِرَادَةَ اللهِ الشَّرْعِيَّةَ وَالْكَوْنِيَّةَ تَابِعَةٌ لِحِكْمَتِهِ -تَعَالَىٰ-:**

- **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ مُرَادَهُ الْكَوْنِيَّ وَالشَّرْعِيَّ تَابِعٌ لِحِكْمَتِهِ؛** فَكُلُّ مَا قَضَاهُ كَوْنًا أَوْ تَعَبَّدَ بِهِ خَلْقَهُ شَرْعًا فَإِنَّهُ لِحِكْمَةٍ، وَعَلَىٰ وَفْقِ الْحِكْمَةِ؛ سَوَاءٌ عَلِمْنَا مِنْهَا مَا نَعْلَمُ، أَوْ تَقَاصَرَتْ عُقُولُنَا عَنْ ذَلِكَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين:٨].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة:٥٠].

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين:٨]: إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ عَلِمْتَ أَنَّ مَا قَدَّرَهُ فَهُوَ لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ، إِنْ أَدْرَكْتَهَا فَذَاكَ، وَإِنْ لَمْ تُدْرِكْهَا فَسَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَىٰ مَنْ يَعْلَمُهَا ﷻ.

• **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ يُحِبُّ وَيُحَبُّ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يُحِبُّ أَوْلِيَاءَهُ، وَهُمْ يُحِبُّونَهُ:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران:١٤٦].

﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات:٩].

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

• **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ يَرْضَى رِضًا حَقِيقِيًّا، وَيَكْرَهُ كُرْهًا حَقِيقِيًّا:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَرْضَىٰ مَا شَرَعَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَيَكْرَهُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنْهَا:** ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر:٧]، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة:٤٦].

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ:** ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة:٨].

فَاللهُ -تَعَالَىٰ- مَوْصُوفٌ بِالرِّضَا، وَهُوَ يَرْضَىٰ عَنِ الْعَمَلِ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَامِلِ، وَرِضَا اللهِ -سُبْحَانَهُ- صِفَةٌ ثَابِتَةٌ لَهُ -تَعَالَىٰ-، وَهِيَ فِي نَفْسِهِ، لَيْسَتْ شَيْئًا مُنْفَصِلًا عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كَمَا يَدَّعِيهِ أَهْلُ التَّعْطِيلِ، وَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَتِهِ -تَعَالَىٰ-، أَيْ: أَنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ.

وَصِفَةُ الْكَرَاهَةِ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَرَاهَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- تَكُونُ لِلْعَمَلِ، وَتَكُونُ لِلْعَامِلِ -أَيْضًا-.

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ يَغْضَبُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَضَبَ:**

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَغْضَبُ عَلَىٰ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَضَبَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَغَيْرِهِمْ:** ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦].

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل:١٠٦].

مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ اللهَ مَوْصُوفٌ بِالْغَضَبِ عَلَىٰ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِنَ الْكَافِرِينَ وَغَيْرِ الْكَافِرِينَ، وَالْغَضَبُ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ الْفِعْلِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ.

وَغَضَبُ الْخَالِقِ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ﷻ.

- **الْإِيمَانُ بِصِفَةِ الْوَجْهِ للهِ -تَعَالَى-:**

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ للهَ -تَعَالَىٰ- وَجْهًا مَوْصُوفًا بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ:** ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٧].

وَجْهُ اللهِ ﷻ مِنْ صِفَاتِهِ الْخَبَرِيَّةِ، للهِ وَجْهٌ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، نُؤْمِنُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَخْبَرَنَا عَنْهُ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ؛ وَلَكِنَّنَا لَا نَتَعَرَّضُ لِكَيْفِيَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِحَاطَةَ لَنَا بِذَلِكَ.

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ [الرحمن:٢٧] أَيْ: ذُو الْعَظَمَةِ، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ مِنْهُ لِلنَّاسِ، وَمِنَ النَّاسِ لَهُ؛ فَهُوَ مُكْرِمٌ لِعِبَادِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ بِالثَّوَابِ، وَهُوَ مُكْرَمٌ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُ، وَيَتَذَلَّلُونَ لَهُ.

- **إِثْبَاتُ صِفَةِ الْيَدَيْنِ للهِ -تَعَالَى-:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ للهِ -تَعَالَىٰ- يَدَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ:** ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر:٦٧].

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ للهِ -تَعَالَى- عَيْنَيْنِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ للهِ -تَعَالَىٰ- عَيْنَيْنِ اثْنَتَيْنِ حَقِيقِيَّتَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:٣٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١).

السُّبُحَاتُ: الْبَهَاءُ وَالْعَظَمَةُ وَالْجَلَالُ.

«**لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»: لَا يُقَالُ: إِنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ لِبَصَرِ اللهِ مُنْتَهًىٰ، وَلَكِنَّهُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُبْصَرَ لَهُ مُنْتَهًىٰ دُونَ الْبَصَرِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْعَيْنَيْنِ اثْنَتَانِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَّالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ-:** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣].

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

هَاتَانِ آيَتَانِ تَدُلَّانِ عَلَىٰ صِفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يُرَىٰ؛ فَمَتَىٰ يُرَىٰ؟

أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلَا يُرَىٰ يَقَظَةً أَبَدًا؛ لِأَنَّ بَنِي آدَمَ لَا يَحْتَمِلُونَ النَّظَرَ إِلَىٰ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ أَبْدَانَهُمْ ضَعِيفَةٌ لَا تَحْتَمِلُ.

أَمَّا رُؤْيَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي الْآخِرَةِ فَمُمْكِنَةٌ؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُونَ فِي عَالَمٍ آخَرَ، تَخْتَلِفُ فِيهِ أَحْوَالُهُمْ عَنْ حَالِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

- **الْإِيمَانُ بِأَنَّ صِفَاتِ اللهِ ثُبُوتِيَّةٌ وَمَنْفِيَّةٌ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا مِثْلَ لَهُ؛ لِكَمَالِ صِفَاتِهِ:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ.

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا؛ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَبِأَنَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ؛ لِكَمَالِ رِقَابَتِهِ وَإِحَاطَتِهِ.**

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ:** ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

* **وَبِأَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ تَعَبٌ وَلَا إِعْيَاءٌ؛ لِكَمَالِ قُوَّتِهِ:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨]، أَيْ: مِنْ تَعَبٍ وَلَا إِعْيَاءٍ.

- **حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:**

* **وَنُؤْمِنُ بِثُبُوتِ كُلِّ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛** لَكِنَّنَا نَتَبَرَّأُ مِنَ مَحْظُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ، هُمَا:

- **التَّمْثِيلُ:** أَنْ يَقُولَ بِقَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ: صِفَاتُ اللهِ -تَعَالَىٰ- كَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

- **وَالتَّكْيِيفُ:** أَنْ يَقُولَ بِقَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ: كَيْفِيَّةُ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- كَذَا وَكَذَا.

وَنُؤْمِنُ بِانْتِفَاءِ كُلِّ مَا نَفَاهُ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَوْ نَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَأَنَّ ذَلِكَ النَّفْيَ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتًا لِكَمَالِ ضِدِّهِ، وَنَسْكُتُ عَمَّا سَكَتَ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ.

وَنَرَىٰ أَنَّ السَّيْرَ عَلَىٰ هَذَا الطَّرِيقِ فَرْضٌ لَا بُدَّ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ

لِنَفْسِهِ أَوْ نَفَاهُ عَنْهَا -سُبْحَانَهُ- فَهُوَ خَبَرٌ أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حدَيثًا، وَالْعِبَادُ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.

وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ أَوْ نَفَاهُ عَنْهُ فَهُوَ خَبَرٌ أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِرَبِّهِ، وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ، وَأَصْدَقُهُمْ، وَأَفْصَحُهُمْ.

فَفِي كَلَامِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَرَسُولِهِ ﷺ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالْبَيَانِ، فَلَا عُذْرَ فِي رَدِّهِ، أَوِ التَّرَدُّدِ فِي قَبُولِهِ.

وَكُلُّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ- تَفْصِيلًا أَوْ إِجْمَالًا، إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا فَإِنَّنَا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُعْتَمِدُونَ، وَعَلَىٰ مَا سَارَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّةُ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ سَائِرُونَ.

*** وَنَرَىٰ وُجُوبَ إِجْرَاءِ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا اللَّائِقَةِ بِاللهِ ﷻ.**

وَنَتَبَرَّأُ مِنْ طَرِيقِ الْمُحَرِّفِينَ لَهَا، الَّذِينَ صَرَفُوهَا إِلَىٰ غَيْرِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا وَرَسُولُهُ ﷺ، وَمِنْ طَرِيقِ الْمُعَطِّلِينَ لَهَا، الَّذِينَ عَطَّلُوهَا عَنْ مَدْلُولِهَا الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَمِنْ طَرِيقِ الْمُغَالِينَ فِيهَا، الَّذِينَ حَمَلُوهَا عَلَىٰ التَّمْثِيلِ، أَوْ تَكَلَّفُوا لِمَدْلُولِهَا التَّكْيِيفَ.

*** وَنَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ- أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ لَا يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾** [النساء:٨٢].

وَلِأَنَّ التَّنَاقُضَ فِي الْأَخْبَارِ يَسْتَلْزِمُ تَكْذِيبَ بَعْضِهَا بَعْضًا، وَهَذَا مُحَالٌ فِي خَبَرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَمَنِ ادَّعَىٰ أَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، أَوْ فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضًا؛ فَذَلِكَ لِسُوءِ قَصْدِهِ، وَزَيْغِ قَلْبِهِ؛ فَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَلْيَنْزِعْ عَنْ غَيِّهِ.

وَمَنْ تَوَهَّمَ التَّنَاقُضَ فِي كِتَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، أَوْ فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ بَيْنَهُمَا؛ فَذَلِكَ إِمَّا لِقِلَّةِ عِلْمِهِ، أَوْ قُصُورِ فَهْمِهِ، أَوْ تَقْصِيرِهِ فِي التَّدَبُّرِ؛ فَلْيَبْحَثْ عَنِ الْعِلْمِ، وَلْيَجْتَهِدْ فِي التَّدَبُّرِ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، فَإِنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ فَلْيَكِلِ الْأَمْرَ إِلَىٰ عَالِمِهِ، وَلْيَكُفَّ عَنْ تَوَهُّمِهِ، وَلْيَقُلْ كَمَا يَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ لَا تَنَاقُضَ فِيهِمَا، وَلَا بَيْنَهُمَا، وَلَا اخْتِلَافَ.

(٢) الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ:

* وَنُؤْمِنُ بِمَلَائِكَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَأَنَّهُمْ: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧].

* **خَلَقَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، فَقَامُوا بِعِبَادَتِهِ، وَانْقَادُوا لِطَاعَتِهِ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾** [الأنبياء:١٩-٢٠].

* **خَلَقَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ نُورٍ، كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**(١).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارِجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدَمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ**».

* **حَجَبَهُمُ اللهُ عَنَّا فَلَا نَرَاهُمْ، وَرُبَّمَا كَشَفَهُمْ لِبَعْضِ عِبَادِهِ؛** فَقَدْ رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ(١)، وَتَمَثَّلَ جِبْرِيلُ لِمَرْيَمَ بَشَرًا سَوِيًّا، فَخَاطَبَتْهُ وَخَاطَبَهَا(٢)، وَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ الصَّحَابَةُ بِصُورَةِ رَجُلٍ لَا يُعْرَفُ، وَلَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، شَدِيدِ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدِ سَوَادِ الشَّعْرِ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَخَاطَبَ النَّبِيَّ ﷺ، وَخَاطَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنَّهُ جِبْرِيلُ(٣).

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلْمَلَائِكَةِ أَعْمَالًا كُلِّفُوا بِهَا:**

فَمِنْهُمْ: جِبْرِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ، يَنْزِلُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه رَأَىٰ جِبْرِيلَ، له سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ»، وأخرج الترمذي (٣٢٨٣)، وأحمد (٣٧٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٢٨٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم:١١] قالَ: رأَىٰ رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ في حُلَّةٍ من رَفرَفٍ قد ملأَ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ».

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم:١٧-٢١].

(٣) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَمِنْهُمْ: مِيكَائِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ.

وَمِنْهُمْ: إِسْرَافِيلُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ حِينَ الصَّعْقِ وَالنُّشُورِ.

وَمِنْهُمْ: مَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

وَمِنْهُمْ: مَلَكُ الْجِبَالِ الْمُوَكَّلُ بِهَا.

وَمِنْهُمْ: مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ.

وَمِنْهُمْ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِالْأَجِنَّةِ فِي الْأَرْحَامِ، وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِحِفْظِ بَنِي آدَمَ، وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، لِكُلِّ شَخْصٍ مَلَكَانِ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٧-١٨].

وَآخَرُونَ مُوَكَّلُونَ بِسُؤَالِ الْمَيِّتِ بَعْدَ الِانْتِهَاءِ مِنْ تَسْلِيمِهِ إِلَىٰ مَثْوَاهُ، يَأْتِيهِ مَلَكَانِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، فَـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧].

وَمِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فِي السَّمَاءِ يَدْخُلُهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ:

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْزَلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ كُتُبًا؛** حُجَّةً عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، وَمَحَجَّةً لِلْعَامِلِينَ، يُعَلِّمُونَهُمْ بِهَا الْحِكْمَةَ وَيُزَكُّونَهُمْ.

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ كِتَابًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

وَنَعْلَمُ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ:

١- **(التَّوْرَاةُ) الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ مُوسَىٰ** ﷺ، وَهِيَ أَعْظَمُ كُتُبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- **(الْإِنْجِيلُ) الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عِيسَىٰ** ﷺ، وَهُوَ مُصَدِّقٌ لِلتَّوْرَاةِ وَمُتَمِّمٌ لَهَا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦]، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:٥٠].

٣- **(الزَّبُورُ) الَّذِي آتَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- دَاوُدَ** ﷺ.

٤- **(صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.**

صُحُفُ مُوسَىٰ قِيلَ: إِنَّهَا التَّوْرَاةُ، وَقِيلَ: غَيْرُهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَلَكِنْ نَقُولُ كَمَا

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٩].

٥- الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، فَكَانَ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨].

فَنَسَخَ اللهُ بِهِ جَمِيعَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَتَكَفَّلَ بِحِفْظِهِ عَنْ عَبَثِ الْعَابِثِينَ وَزَيْغِ الْمُحَرِّفِينَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩]؛ لِأَنَّهُ سَيَبْقَىٰ حُجَّةً عَلَىٰ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا الْكُتُبُ السَّابِقَةُ فَإِنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ بِأَمَدٍ يَنْتَهِي بِنُزُولِ مَا يَنْسَخُهَا، وَيُبَيِّنُ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنْ تَحْرِيفٍ وَتَغْيِيرٍ؛ وَلِهَذَا لَمْ تَكُنْ مَعْصُومَةً مِنْهُ؛ فَقَدْ وَقَعَ فِيهَا التَّحْرِيفُ وَالزِّيَادَةُ وَالنَّقْصُ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩].

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ﴾ [الأنعام:٩١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٨-٧٩].

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [المائدة:١٥].. **إِلَىٰ قَوْلِهِ:** ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ [المائدة: ٧٢].

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ أَشْرَفُ الْكُتُبِ، وَأَهَمُّ الْكُتُبِ، وَأَنْفَعُهَا وَأَقْوَمُهَا.

اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا:

أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ -تَعَالَىٰ-، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

(٤) الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ:

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- بَعَثَ إِلَىٰ خَلْقِهِ رُسُلًا:** ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء:١٦٥].

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ، وَآخِرَهُمْ مُحَمَّدٌ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ-:** ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [النساء:١٦٣]، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

* **وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ نُوحٌ، وَعِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ، وَهُمُ الْمَخْصُوصُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٧].

* **وَنَعْتَقِدُ أَنَّ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَاوِيَةٌ لِفَضَائِلِ شَرَائِعِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ الْمَخْصُوصِينَ بِالْفَضْلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورىٰ:١٣].

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ شَيْءٌ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ نُوحٍ -وَهُوَ أَوَّلُهُمْ-: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود:٣١].

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا -وَهُوَ آخِرُهُمْ- أَنْ يَقُولَ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وَأَنْ يَقُولَ: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وَأَنْ يَقُولَ: ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن:٢١-٢٢].

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُمْ عَبِيدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، أَكْرَمَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالرِّسَالَةِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي أَعْلَىٰ مَقَامَاتِهِمْ، وَفِي سِيَاقِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ فِي أَوَّلِهِمْ نُوحٍ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء:٣].

وَقَالَ فِي آخِرِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

وَقَالَ فِي رُسُلٍ آخَرِينَ: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص:٤٥].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص:١٧].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص:٣٠].

وَقَالَ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف:٥٩].

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- خَتَمَ الرِّسَالَاتِ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَرْسَلَهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

* وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ شَرِيعَتَهُ ﷺ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِعِبَادِهِ، وَأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران:١٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

- وَنَرَىٰ أَنَّ مَنْ زَعَمَ الْيَوْمَ دِينًا قَائِمًا مَقْبُولًا عِنْدَ اللهِ سِوَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ؛ مِنْ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ، أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ، أَوْ غَيْرِهِمَا؛ فَهُوَ كَافِرٌ، يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ مُرْتَدًّا؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلْقُرْآنِ.

- وَنَرَىٰ أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ جَمِيعًا فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ؛ حَتَّىٰ بِرَسُولِهِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ مُتَّبِعٌ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء:١٠٥]، فَجَعَلَهُمْ مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ نُوحًا رَسُولٌ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

- وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنِ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ، أَوْ صَدَّقَ مَنِ ادَّعَاهَا فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ للهِ، وَرَسُولِهِ، وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُلَفَاءَ رَاشِدِينَ خَلَفُوهُ فِي أُمَّتِهِ عِلْمًا، وَدَعْوَةً، وَوِلَايَةً عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِأَنَّ أَفْضَلَهُمْ وَأَحَقَّهُمْ بِالْخِلَافَةِ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.**

وَهَكَذَا كَانُوا فِي الْخِلَافَةِ قَدرًا كَمَا كَانُوا فِي الْفَضِيلَةِ، وَمَا كَانَ اللهُ -تَعَالَىٰ- وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ لِيُوَلِّي عَلَىٰ خَيْرِ الْقُرُونِ رَجُلًا وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَجْدَرُ بِالْخِلَافَةِ.

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْمَفْضُولَ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ يَتَمَيَّزُ بِخَصِّيصَةٍ يَفُوقُ فِيهَا مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ لَكِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ بِهَا الْفَضْلَ الْمُطْلَقَ عَلَىٰ مَنْ فَضَلَهُ؛ لِأَنَّ مُوجِبَاتِ الْفَضْلِ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ.

*** وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ خَيْرُ الْأُمَمِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ ﷻ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾** [آل عمران:١١٠].

* **وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ: الصَّحَابَةُ، ثُمَّ التَّابِعُونَ، ثُمَّ تَابِعُوهُمْ، وَبِأَنَّهُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ»**(١).

* **وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَا جَرَىٰ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ مِنَ الْفِتَنِ فَقَدْ صَدَرَ عَنْ تَأْوِيلٍ اجْتَهَدُوا فِيهِ،** فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُصِيبًا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُخْطِئًا فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ لَهُ.

* **وَنَرَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَكُفَّ عَنْ مَسَاوِئِهِمْ، فَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الثَّنَاءِ الْجَمِيلِ، وَأَنْ نُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيهِمْ:** ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد:١٠].

وَقَوْلِ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِينَا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

(٥) الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:

* **وَنُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، حِينَ يُبْعَثُ النَّاسُ أَحْيَاءً لِلْبَقَاءِ؛ إِمَّا فِي دَارِ النَّعِيمِ، وَإِمَّا فِي دَارِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.**

---

(١) تقدم تخريجه.

- **فَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ**، وَهُوَ: إِحْيَاءُ اللهِ -تَعَالَىٰ- الْمَوْتَىٰ حِينَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر:٦٨]، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً بِلَا نِعَالٍ، عُرَاةً بِلَا ثِيَابٍ، غُرْلًا بِلَا خِتَانٍ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

- **وَنُؤْمِنُ بِصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ تُعْطَىٰ بِالْيَمِينِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظُّهُورِ بِالشِّمَالِ**: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:٧-١٢].

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣-١٤].

- **وَنُؤْمِنُ بِالْمَوَازِينِ تُوضَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٤].

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام:١٦٠].

- **وَنُؤْمِنُ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً**، يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِإِذْنِهِ؛ لِيَقْضِيَ بَيْنَ عِبَادِهِ حِينَ يُصِيبُهُمْ مِنَ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَيَذْهَبُونَ إِلَىٰ آدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ عِيسَىٰ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

- **وَنُؤْمِنُ بِالشَّفَاعَةِ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَخْرُجُوا مِنْهَا**، وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَغَيْرِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَبِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

- **وَنُؤْمِنُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، وَآنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ حُسْنًا وَكَثْرَةً، يَرِدُهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أُمَّتِهِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَ ذَلِكَ.

هَلْ لِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ أَحْوَاضٌ؟

الْجَوَابُ: أَنَّ لَهُمْ أَحْوَاضًا، لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ؛ لَكِنْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْحَوْضَ الْكَبِيرَ الْوَاسِعَ الْأَعْظَمَ هُوَ حَوْضُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّ أُمَّتَهُ أَكْثَرُ الْأُمَمِ، فَهُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ.

- **وَنُؤْمِنُ بِالصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ**، فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ كَالْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرِّحَالِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: «**يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»(١)، حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْعِبَادِ، فَيَأْتِي مَنْ يَزْحَفُ، وَفِي حَافَّتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ، تَأْخُذُ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ.

- **وَنُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَخْبَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَهْوَالِهِ** - أَعَانَنَا اللهُ عَلَيْهَا-.

- **وَنُؤْمِنُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَهِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.**

- **وَنُؤْمِنُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ**؛ فَالْجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وَالنَّارُ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ الْبَالِ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَنْ تَفْنَيَا أَبَدَ الْآبِدِينَ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق:١١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٦].

- **وَنَشْهَدُ بِالْجَنَّةِ لِكُلِّ مَنْ شَهِدَ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِالْعَيْنِ أَوْ بِالْوَصْفِ**، فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالْعَيْنِ: الشَّهَادَةُ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ عَيَّنَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالْوَصْفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَوْ تَقِيٍّ.

- **وَنَشْهَدُ بِالنَّارِ لِكُلِّ مَنْ شَهِدَ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِالْعَيْنِ أَوْ بِالْوَصْفِ**: فَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالْعَيْنِ: الشَّهَادَةُ لِأَبِي لَهَبٍ، وَعَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيِّ، وَنَحْوِهِمَا، وَمِنَ الشَّهَادَةِ بِالْوَصْفِ: الشَّهَادَةُ لِكُلِّ كَافِرٍ، أَوْ مُشْرِكٍ شِرْكًا أَكْبَرَ، أَوْ مُنَافِقٍ.

- **وَنُؤْمِنُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَهِيَ سُؤَالُ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ**، فَـ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ.

- **وَنُؤْمِنُ بِنَعِيمِ الْقَبْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ**: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل:٣٢].

وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ لِلظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام:٩٣].

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ وَمَعْلُومَةٌ.

فَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَأَلَّا يُعَارِضَهَا بِمَا يُشَاهِدُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ أُمُورَ الْآخِرَةِ لَا تُقَاسُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا؛ لِظُهُورِ الْفَرْقِ الْكَبِيرِ بَيْنَهَا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

(٦) الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ:

*** وَنُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَهُوَ تَقْدِيرُ اللهِ -تَعَالَىٰ- لِلْكَائِنَاتِ حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ.**

وَلِلْقَدَرِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ، فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، عَلِمَ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَكَيْفَ يَكُونُ بِعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ، فَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلْمٌ بَعْدَ جَهْلٍ، وَلَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ بَعْدَ عِلْمٍ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْكِتَابَةُ، فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠].

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْمَشِيئَةُ، فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَدْ شَاءَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: الْخَلْقُ، فَنُؤْمِنُ بِأَنَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الزمر:٦٢-٦٣].

وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعُ شَامِلَةٌ لِمَا يَكُونُ مِنَ اللهِ -تَعَالَىٰ- نَفْسِهِ، وَلِمَا يَكُونُ مِنَ الْعِبَادِ، فَكُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ الْعِبَادُ مِنْ أَقْوَالٍ أَوْ أَفْعَالٍ أَوْ تُرُوكٍ فَهِيَ مَعْلُومَةٌ للهِ -تَعَالَىٰ-، مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- قَدْ شَاءَهَا وَخَلَقَهَا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأنعام:١٣٧].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦].

- **وَلَكِنَّنَا مَعَ ذَلِكَ نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- جَعَلَ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارًا وَقُدْرَةً، بِهِمَا يَكُونُ الْفِعْلُ.**

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ بِاخْتِيَارِهِ وَقُدْرَتِهِ أُمُورٌ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦].

فَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ إِتْيَانًا بِمَشِيئَتِهِ، وَإِعْدَادًا بِإِرَادَتِهِ.

الثَّانِي: تَوْجِيهُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ إِلَىٰ الْعَبْدِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ اخْتِيَارٌ وَقُدْرَةٌ لَكَانَ تَوْجِيهُ ذَلِكَ إِلَيْهِ مِنَ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ، وَهُوَ أَمْرٌ تَأْبَاهُ حِكْمَةُ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَرَحْمَتُهُ، وَخَبَرُهُ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ [البقرة:٢٨٦].

الثَّالِثُ: مَدْحُ الْمُحْسِنِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، وَذَمُّ الْمُسِيءِ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، وَإِثَابَةُ كُلٍّ مِنْهُمَا بِمَا يَسْتَحِقُّ، وَلَوْلَا أَنَّ الْفِعْلَ يَقَعُ بِإِرَادَةِ الْعَبْدِ وَاخْتِيَارِهِ لَكَانَ مَدْحُ الْمُحْسِنِ عَبَثًا، وَعُقُوبَةُ الْمُسِيءِ ظُلْمًا، وَاللهُ -تَعَالَىٰ- مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَبَثِ وَالظُّلْمِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَرْسَلَ الرُّسُلَ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥]، وَلَوْلَا أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ مَا بَطَلَتْ حُجَّتُهُ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ.

الْخَامِسُ: أَنَّ كُلَّ فَاعِلٍ يُحِسُّ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ أَوْ يَتْرُكُهُ بِدُونِ أَيِّ شُعُورٍ بِإِكْرَاهٍ؛ فَهُوَ يَقُومُ وَيَقْعُدُ، وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ، وَيُسَافِرُ وَيُقِيمُ بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ، وَلَا يَشْعُرُ بِأَنَّ أَحَدًا يُكْرِهُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، بَلْ يُفَرِّقُ تَفْرِيقًا وَاقِعِيًّا بَيْنَ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ بِاخْتِيَارِهِ، وَبَيْنَ أَنْ يُكْرِهَهُ عَلَيْهِ مُكْرِهٌ، وَكَذَلِكَ فَرَّقَ الشَّرْعُ بَيْنَهُمَا تَفْرِيقًا حَكِيمًا، فَلَمْ يُؤَاخِذِ الْفَاعِلَ بِمَا فَعَلَهُ مُكْرَهًا عَلَيْهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

- وَنَرَىٰ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لِلْعَاصِي الْمُحْتَجِّ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ بِقَدَرِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ لِأَنَّ الْعَاصِيَ يُقْدِمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِاخْتِيَارِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَدَّرَهَا عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ قَدَرَ اللهِ -تَعَالَىٰ- إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ مَقْدُورِهِ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان:٣٤]؛ فَكَيْفَ يَصِحُّ الِاحْتِجَاجُ بِحُجَّةٍ لَا يَعْلَمُهَا الْمُحْتَجُّ بِهَا حِينَ إِقْدَامِهِ عَلَىٰ مَا اعْتَذَرَ بِهَا عَنْهُ؟! وَقَدْ أَبْطَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- هَذِهِ الْحُجَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام:١٤٨].

وَنَقُولُ لِلْعَاصِي الْمُحْتَجِّ بِالْقَدَرِ: لِمَاذَا لَمْ تُقْدِمْ عَلَى الطَّاعَةِ مُقَدِّرًا أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَدْ كَتَبَهَا لَكَ؛ فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ فِي الْجَهْلِ بِالْمَقْدُورِ قَبْلَ صُدُورِ الْفِعْلِ مِنْكَ؟!

وَلِهَذَا لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ: «بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ

الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»؛ قَالُوا: «أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟». قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»(١).

وَنَقُولُ لِلْعَاصِي الْمُحْتَجِّ بِالْقَدَرِ: لَوْ كُنْتَ تُرِيدُ السَّفَرَ لِمَكَّةَ وَكَانَ لَهَا طَرِيقَانِ، أَخْبَرَكَ الصَّادِقُ أَنَّ أَحَدَهُمَا مَخُوفٌ صَعْبٌ، وَالثَّانِي آمِنٌ سَهْلٌ؛ فَإِنَّكَ سَتَسْلُكُ الثَّانِي، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْلُكَ الْأَوَّلَ وَتَقُولُ: إِنَّهُ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ، وَلَوْ فَعَلْتَ لَعَدَّكَ النَّاسُ فِي قِسْمِ الْمَجَانِينِ.

وَنَقُولُ لَهُ -أَيْضًا-: لَوْ عُرِضَ عَلَيْكَ وَظِيفَتَانِ، إِحْدَاهُمَا ذَاتُ مُرَتَّبٍ أَكْثَرَ؛ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَعْمَلُ فِيهَا دُونَ النَّاقِصَةِ؛ فَكَيْفَ تَخْتَارُ لِنَفْسِكَ فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ مَا هُوَ الْأَدْنَىٰ، ثُمَّ تَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟!

وَنَقُولُ لَهُ -أَيْضًا-: نَرَاكَ إِذَا أُصِبْتَ بِمَرَضٍ جِسْمِيٍّ طَرَقْتَ بَابَ كُلِّ طَبِيبٍ لِعِلَاجِكَ، وَصَبَرْتَ عَلَىٰ مَا يَنَالُكَ مِنْ أَلَمِ عَمَلِيَّةِ الْجِرَاحَةِ، وَعَلَىٰ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ؛ فَلِمَاذَا لَا تَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي مَرَضِ قَلْبِكَ بِالْمَعَاصِي؟!

- وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الشَّرَّ لَا يُنْسَبُ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ لِكَمَالِ رَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(٢).

فَنَفْسُ قَضَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- لَيْسَ فِيهِ شَرٌّ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ صَادِرٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَحِكْمَةٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وَإِنَّمَا يَكُونُ الشَّرُّ فِي مُقْتَضَيَاتِهِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ الْقُنُوتِ الَّذِي عَلَّمَهُ الْحَسَنَ: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»(١).

فَأَضَافَ الشَّرَّ إِلَىٰ مَا قَضَاهُ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الشَّرَّ فِي الْمُقْتَضَيَاتِ لَيْسَ شَرًّا خَالِصًا مَحْضًا، بَلْ هُوَ شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ مِنْ وَجْهٍ، خَيْرٌ مِنْ وَجْهٍ، أَوْ شَرٌّ فِي مَحَلِّهِ، خَيْرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ.

فَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ: مِنَ الْجَدْبِ، وَالْمَرَضِ، وَالْفَقْرِ، وَالْخَوْفِ شَرٌّ؛ لَكِنَّهُ خَيْرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١].

وَقَطْعُ يَدِ السَّارِقِ وَرَجْمُ الزَّانِي شَرٌّ بِالنِّسْبَةِ لِلسَّارِقِ وَالزَّانِي فِي قَطْعِ الْيَدِ، وَإِزْهَاقِ النَّفْسِ؛ لَكِنَّهُ خَيْرٌ لَهُمَا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، حَيْثُ يَكُونُ كَفَّارَةً لَهُمَا، فَلَا يُجْمَعُ لَهُمَا بَيْنَ عُقُوبَتَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ -أَيْضًا- خَيْرٌ فِي مَحَلٍّ آخَرَ؛ حَيْثُ إِنَّ فِيهِ حِمَايَةَ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَنْسَابِ.

*** ثَمَرَاتُ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ:**

هَذِهِ الْعَقِيدَةُ السَّامِيَةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِهَذِهِ الْأُصُولِ الْعَظِيمَةِ تُثْمِرُ لِمُعْتَقِدِهَا ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً كَثِيرَةً:

*** فَالْإِيمَانُ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يُثْمِرُ لِلْعَبْدِ مَحَبَّةَ اللهِ وَتَعْظِيمَهُ**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤)، والنسائي (١٧٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٢٥) من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

الْمُوجِبَيْنِ لِلْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَالْقِيَامُ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ يَحْصُلُ بِهِمَا كَمَالُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ:**

أَوَّلًا: الْعِلْمُ بِعَظَمَةِ خَالِقِهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقُوَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ.

ثَانِيًا: شُكْرُهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ وَكَّلَ بِهِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

ثَالِثًا: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَاسْتِغْفَارِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ:**

أَوَّلًا: الْعِلْمُ بِرَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَعِنَايَتِهِ بِخَلْقِهِ؛ حَيْثُ أَنْزَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ كِتَابًا يَهْدِيهِمْ بِهِ.

ثَانِيًا: ظُهُورُ حِكْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ حَيْثُ شَرَعَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَا يُنَاسِبُهَا، وَكَانَ خَاتَمَ هَذِهِ الْكُتُبِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ مُنَاسِبًا لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَكَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثَالِثًا: شُكْرُ نِعْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ ذَلِكَ.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ:**

أَوَّلًا: الْعِلْمُ بِرَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَعِنَايَتِهِ بِخَلْقِهِ؛ حَيْثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أُولَئِكَ الرُّسُلَ الْكِرَامَ لِلْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ.

ثَانِيًا: شُكْرُهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَىٰ.

ثَالِثًا: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ، وَتَوْقِيرُهُمْ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَخُلَاصَةُ عَبِيدِهِ، قَامُوا للهِ بِعِبَادَتِهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ أَذَاهُمْ.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:**

أَوَّلًا: الْحِرْصُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَالْبُعْدُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

ثَانِيًا: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ:**

أَوَّلًا: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- عِنْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ؛ لِأَنَّ السَّبَبَ وَالْمُسَبِّبَ كِلَاهُمَا بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ.

ثَانِيًا: رَاحَةُ النَّفْسِ وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ مَتَىٰ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَأَنَّ الْمَكْرُوهَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ؛ ارْتَاحَتِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ الْقَلْبُ، وَرَضِيَ بِقَضَاءِ الرَّبِّ، فَلَا أَحَدَ أَطْيَبُ عَيْشًا وَأَرْيَحُ نَفْسًا وَأَقْوَىٰ طُمَأْنِينَةً مِمَّنْ آمَنَ بِالْقَدَرِ.

ثَالِثًا: طَرْدُ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ عِنْدَ حُصُولِ الْمُرَادِ؛ لِأَنَّ حُصُولَ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالنَّجَاحِ، فَيَشْكُرُ اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الْإِعْجَابَ.

رَابِعًا: طَرْدُ الْقَلَقِ وَالضَّجَرِ عِنْدَ فَوَاتِ الْمُرَادِ أَوْ حُصُولِ الْمَكْرُوهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللهِ -تَعَالَىٰ- الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، فَيَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيَحْتَسِبُ الْأَجْرَ، وَإِلَىٰ هَذَا يُشِيرُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

فَنَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَأَنْ يُحَقِّقَ لَنَا ثَمَرَاتِهَا، وَيَزِيدَنَا مِنْ فَضْلِهِ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». (*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «تَهْذِيبُ شَرْحِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

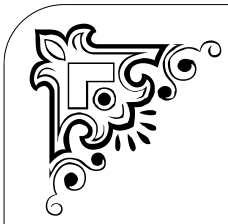

مَرَّ وَهَذَا أَثَرُ عِبَادَتِهِ!

إِنَّ الِاجْتِهَادَ فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ؛ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصَوْمٍ وَحَجٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، مَعَ الْإِخْلَاصِ للهِ فِي أَدَائِهَا، وَإِفْرَادِهِ جَلَّوَعَلَا بِهَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ طِيبِ أَثَرِ الْمَرْءِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حَتَّى إِنَّ كُتُبَ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ مَا تَزَالُ تَذْكُرُ فِي صَفْحَاتِهَا النَّاصِعَةِ عُبَّادًا وَزُهَّادًا اتَّصَفُوا بِالسَّلَامَةِ فِي الْمَنْهَجِ وَالْعَقِيدَةِ، وَالِاجْتِهَادِ مَعَ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ.

لَقَدْ بَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّتِيجَةَ الَّتِي يَتَحَصَّلُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ إِذَا مَا أَكْثَرَ مِنَ النَّوَافِلِ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ** -وَهَذَا فِي تَحْصِيلِ الْمَحْبُوبِ-، **وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ** -وَهَذَا فِي الْوِقَايَةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ-»[1]، فَجَعَلَ لَهُ الْخَيْرَ بِحَذَافِيرِهِ لَمَّا أَتَىٰ بِمُوجِبِ مَحَبَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَازِمِهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَالْإِتْيَانُ بِمَا افْتَرَضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ الْعَبْدِ مِنَ الْفَرَائِضِ، ثُمَّ شَفْعُ ذَلِكَ بَعْدُ بِالْإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ.. سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْكِفَايَةِ بِالْمَحَبَّةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ثَمَرَةً وَنَتِيجَةً.

وَقَدْ بَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ تَتَفَاضَلُ فِي جِنْسِهَا؛ فَلَيْسَتِ الْفَرَائِضُ كَالنَّوَافِلِ، فَجِنْسُ الْفَرَائِضِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ جِنْسِ النَّوَافِلِ، ثُمَّ إِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَتَفَاضَلُ بِالنَّوْعِ؛ فَالصَّلَاةُ مِنَ الْفَرَائِضِ هِيَ أَفْضَلُ مَا افْتَرَضَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي نَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَهِيَ -أَيْضًا- تَتَفَاضَلُ نَوْعًا كَمَا تَفَاضَلَتْ جِنْسًا.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَيْهِ بِأَحَبَّ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِ؛ أَنْ يُؤَدِّيَ الْإِنْسَانُ مَا فَرَضَ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ، يَأْتِي بِهَا مُقِيمًا إِيَّاهَا كَمَا جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ جَاهِلًا بِفَرَائِضِ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ غَيْرَ عَارِفٍ بِكَيْفِيَّةِ أَدَائِهَا؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا؛ بَلْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ آتِيًا بِهَا أَصْلًا، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِلْمُسِيءِ فِي صَلَاتِهِ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»(١)، فَجَعَلَهُ غَيْرَ آتٍ بِالْفَرِيضَةِ أَصْلًا: «**فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ مَا افْتَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِ؛ حَتَّىٰ يُؤَدِّيَهُ كَمَا افْتَرَضَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ، وَلَا يُعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَإِذَا مَا أَتَىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ الْوَجْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ النَّوَافِلِ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْعَالَمِينَ، «**وَمَا يَزَالُ**»: وَهَذَا مِنْ أَفْعَالِ الِاسْتِمْرَارِ، «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**».

أَهْلُ التَّأْوِيلِ وَالتَّعْطِيلِ أَرَادُوا أَنْ يَحْتَجُّوا عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالُوا: أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السُّنَّةِ تُؤَوِّلُونَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ: «**كُنْتُ سَمْعَهُ**»، فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تُؤَوِّلُونَ فَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ سَمْعَ الْعَبْدِ، وَبَصَرَهُ، وَيَدَهُ، وَرِجْلَهُ، فَأَنْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا أَنْ تَجْعَلُوا ذَلِكَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، فَتَكُونُوا -حِينَئِذٍ- مِنَ الْمُجَسِّمِينَ.

وَإِمَّا أَنْ تُؤَوِّلُوا كَمَا نُؤَوِّلُ وَلَوْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

وَعَلَيْهِ؛ فَيُفْتَحُ الْبَابُ أَمَامَ الْمُؤَوِّلِينَ لِلتَّأْوِيلِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ: أَنْتُمْ لَمْ تَفْهَمُوا اللُّغَةَ، وَلَمْ تُحْسِنُوا التَّعَامُلَ مَعَ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: نَأْخُذُ الْأَحَادِيثَ وَالْآيَاتِ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا؛ مَا هُوَ ظَاهِرُ هَذَا النَّصِّ؟

هَلْ ظَاهِرُهُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْضُ صِفَةِ الْعَبْدِ؟!

السَّمْعُ بَعْضُ صِفَاتِ الْعَبْدِ، وَالْبَصَرُ بَعْضُ صِفَاتِ الْعَبْدِ، وَالْيَدُ وَالرِّجْلُ أَبْعَاضٌ لِلْعَبْدِ؛ فَهَلْ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ عِنْدَ السَّمَاعِ؟!

نَحْنُ نَقُولُ -نَحْنُ أَهْلَ السُّنَّةِ- نَقُولُ: إِنَّنَا نَأْخُذُ النُّصُوصَ عَلَىٰ ظَوَاهِرِهَا

الْمُرَادَةِ مِنْ غَيْرِ مَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ مَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَجْسِيمٍ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُ كِتَابَ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَظَاهِرُ النَّصِّ هُوَ الْمُتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ السَّلِيمِ عَلَىٰ حَسَبِ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ وَعَلَىٰ حَسَبِ التَّرَاكِيبِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ هَذَا النَّصُّ الشَّرِيفُ؛ فَإِنَّكَ عِنْدَمَا تَسْمَعُ: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**»؛ لَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ الشَّرِيفِ عَلَىٰ حَسَبِ السِّيَاقِ وَالتَّرْكِيبِ: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقَرِّرُ أَنَّهُ صَارَ بَعْضَ صِفَاتِ الْعَبْدِ؛ وَلَا أَنَّهُ صَارَ بَعْضَ أَبْعَاضِ الْعَبْدِ؟!

حَاشَا وَكَلَّا!

بَلِ الَّذِي يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ مِنْ هَذَا النَّصِّ -وَهُوَ ظَاهِرُهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ وَالتَّرْكِيبُ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ اللُّغَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ بِهَا كِتَابَهُ، وَأَنْطَقَ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ-: أَنَّهُ يُسَدِّدُهُ؛ يُسَدِّدُ سَمْعَهُ، «**كُنْتُ سَمْعَهُ**» بِمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يَلْتَزِمُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَيُسَدِّدُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ؛ فَلَا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَىٰ مَا أَحَلَّ اللهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ، وَلَا يَمْتَدُّ السَّمْعُ إِلَّا إِلَىٰ مَا أَحَلَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَمْتَدَّ السَّمْعُ إِلَيْهِ، وَلَا تَمْتَدُّ الْيَدُ إِلَّا إِلَىٰ مَا أَحَلَّ اللهُ أَنْ تَمْتَدَّ الْيَدُ إِلَيْهِ، وَلَا تَنْتَقِلُ الرِّجْلُ بِخَطْوٍ إِلَّا إِلَىٰ مَا أَحَلَّ اللهُ انْتِقَالَ الْخَطْوِ إِلَيْهِ.

فَهَذَا هُوَ التَّسْدِيدُ، وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ النَّصِّ بِلَا تَأْوِيلٍ.

وَشَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَقُولُونَ بِنَفْيِ التَّأْوِيلِ مُطْلَقًا، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: التَّأْوِيلُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ هُوَ الدَّلِيلُ.

فَالْأَمْرُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -سُبْحَانَهُ- يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ الْعَظِيمِ: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**» يَعْنِي: سَدَّدْتُ سَمْعَهُ؛ وَلِذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُقْبِلًا عَلَىٰ سَمَاعِ الْخَنَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَحْبُوبًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ كَيْفَ وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ**»، وَهَذَا لَا يَفْتُرُ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ وَلَا مَا بَيْنَ ذَلِكَ عَنْ سَمَاعِ الْخَنَا وَالْمُوبِقَاتِ وَمَا حَرَّمَ اللهُ.

وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مَحْبُوبٍ للهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَحْبُوبًا للهِ لَصَدَقَ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**»، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَمْتَدُّ بَصَرُهُ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ مُقْبِلًا عَلَىٰ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مَحْبُوبٍ للهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدْتَهُ بَاطِشًا سَاعِيًا إِلَىٰ الْمُنْكَرَاتِ، مُقْبِلًا عَلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مَحْبُوبٍ للهِ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَالَ: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**».

وَبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمْرًا كَبِيرًا يَقُولُ: «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**[1]».

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَالرَّبُّ يَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَ عَبْدَهُ وَمَحْبُوبَهُ، فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكْرَهَ الْمَوْتَ، لِيَزْدَادَ مِنْ محاب مَحْبُوبِهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ قَضَىٰ بِالْمَوْتِ، فَكُلُّ مَا قَضَىٰ بِهِ فَهُوَ يُرِيدُهُ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ، فَالرَّبُّ مُرِيدٌ لِمَوْتِهِ لِمَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَارِهٌ لِمسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَهِيَ الْمسَاءَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بِالْمَوْتِ، فَصَارَ الْمَوْتُ مُرَادًا لِلْحَقِّ مِنْ وَجْهٍ، مَكْرُوهًا لَهُ مِنْ وَجْهٍ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّرَدُّدِ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مُرَادًا مِنْ وَجْهٍ مَكْرُوهًا مِنْ =

وَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَيْسَتْ عَلَىٰ مَا يَتَبَادَرُ إِلَىٰ الذِّهْنِ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ الْمُتَرَدِّدِينَ الْحَيَارَىٰ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ هَاهُنَا بَيْنَ أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَأَمْرٍ مَحْبُوبٍ لِلْعَبْدِ، فَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، لَا بُدَّ أَنْ يَمُوتَ، هَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ وَلَكِنَّ الْعَبْدَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَيُحِبُّ الْحَيَاةَ؛ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ، فَقَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

اللهُ جَلَّ وَعَلَا بَيَّنَ لَنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا إِذَا حَصَّلْتَ أَسْبَابَ الْمَحَبَّةِ، وَمِمَّا ذُكِرَ فِي هَذَا النَّصِّ: أَنْ تَأْتِيَ بِالْفَرَائِضِ وَافِيَةً، ثُمَّ تَأْتِيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ كَثِيرَةً، «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ..**» جَاءَهُ التَّوْفِيقُ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْكِفَايَةُ -كِفَايَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ-، وَتَوْفِيقُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ، وَلَهَا أَسْبَابُهَا بِتَحْصِيلِهَا.

فَعَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي ذَلِكَ..

=

وَجْهٍ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرَجُّحِ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ كَمَا تَرَجَّحَ إِرَادَةُ الْمَوْتِ؛ لَكِنْ مَعَ وُجُودِ كَرَاهَةِ مَسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ إِرَادَتُهُ لِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ، الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، كَإِرَادَتِهِ لِمَوْتِ الْكَافِرِ الَّذِي يُبْغِضُهُ وَيُرِيدُ مُسَاءَتَهُ». انتهىٰ من «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ١٣١).

وقال أيضا: «فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمَّا كَرِهَ مَسَاءَةَ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَكْرَهُ الْمَوْتَ، كَانَ هَذَا مُقْتَضِيًا أَنْ يَكْرَهَ إِمَاتَتَهُ مَعَ أَنَّهُ يُرِيدُ إِمَاتَتَهُ؛ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الْحِكْمَةِ ﷻ». انتهىٰ من «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤٨٣).

مَحَبَّةُ اللهِ سَبَبٌ لِلذِّكْرِ الْحَسَنِ لِلْعَبْدِ وَالْقَبُولِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَثَرَ ذَلِكَ يَمْتَدُّ إِلَى بَعْدَ مَوْتِ الْعَبْدِ.

لَقَدْ بَيَّنَ لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ عَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ تَحَقُّقِ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ**». هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ مِثْلَ مَا مَرَّ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي أُحِبُّ عَبْدِي فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ: يَا أَهْلَ السَّمَاءِ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ: يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي أُبْغِضُ عَبْدِي فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**».

هَذِهِ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ تَحَقُّقِ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ: الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَحَبَّةُ اللهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٩هـ| ١٨-٧-٢٠٠٨م.

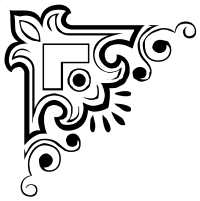

مَرَّ وَهَذَا أَثَرُ خُلُقِهِ الْحَسَنِ!

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ بَقَاءَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ، وَاسْتِمْرَارَ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ لِلْعَبْدِ بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ يَخْتَصُّ اللهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِمَّنْ بَذَلُوا الْخَيْرَ وَالْبِرَّ، وَنَشَرُوا الْإِحْسَانَ، وَنَفَعُوا الْخَلْقَ، وَجَمَعُوا مَعَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ التَّقْوَى وَالصَّلَاحَ، وَمَكَارِمَ الْخِصَالِ، وَجَمِيلَ الْخِلَالِ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ لِلْعَبْدِ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ فَضَائِلُهُم ... وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

لَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ شَيْءٍ يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ عَلَى الْقِمَّةِ الْعَالِيَةِ وَعَلَى ذِرْوَةِ السَّنَامِ، وَمَدَحَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِذَلِكَ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ، فَقَالَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب، (٤٢٤٦).
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٦٦٩، رقم ٩٧٧).

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»(١).

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ اللَّيْلَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»(٢). (*).

إِنَّ بِحُسْنِ الْخُلُقِ يَبْلُغُ الرَّجُلُ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ. (*/٢).

وَهَذِهِ بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ فِيهَا بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة:٨٣] وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ:

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٣٨١، رقم ٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٧٨، رقم ٢٧٣)، والبزار في «المسند»: (١٥/ ٣٦٤، رقم ٨٩٤٩)، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٦١٣، رقم ٤٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»: (١٠/ ١٩١-١٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**».

وفي رواية البزار، بلفظ: «... **مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**».

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «الصحيحة»: (١/ ١١٢، رقم ٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها في دعاء استفتاح صلاة الليل، وبوب له النووي: «باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - الْجُمُعَةُ: ٣-١١-١٩٩٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - الْجُمُعَةُ: ٣-١١-١٩٩٥م.

أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾ [المؤمنون:٩٦].

هَذَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِهَا، فَقَالَ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون:٩٦] أَيْ: إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَعْدَاؤُكَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَلَا تُقَابِلْهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ مُعَاقَبَةُ الْمُسِيءِ بِمِثْلِ إِسَاءَتِهِ؛ وَلَكِنِ ادْفَعْ إِسَاءَتَهُمْ إِلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْكَ عَلَىٰ الْمُسِيءِ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

«وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمُوجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الإسراء:٥٣]، وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ؛ مِنْ قِرَاءَةٍ، وَذِكْرٍ، وَعِلْمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَكَلَامٍ حَسَنٍ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِإِيثَارِ أَحْسَنِهِمَا إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ»(١).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٦٠).

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ أَوْلَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلُ الْكَامِلُ، النَّبِيُّ ﷺ الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ عَلَمًا عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ، وَكَمَالِ الْقِيَمِ، وَشِيَمِ التَّصَوُّرِ الصَّحِيحِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ يَحْمِلُونَ الْهِدَايَةَ وَالسَّعَادَةَ وَالنُّورَ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.(*).

وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**»(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَأَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَة: «أَخْلَاقُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ٢٩-٨-٢٠٠٣م.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٤/ ٣٥٥، رقم ١٩٨٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ١٢، رقم ٢٦٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب السنة: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، (٤٦٨٢)، والترمذي في «الجامع»: أبواب الرضاع: بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا، (١١٦٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه لغيره الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٥٧٣، رقم ٢٨٤).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ** -الزَّعِيمُ هَاهُنَا: الضَّامِنُ- **بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ**[1] -رَبَضُ الْجَنَّةِ: مَا حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا، تَشْبِيهًا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَتَحْتَ الْقِلَاعِ- **لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ** -أَيِ: الْجَدَلَ- **وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**»[2]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.(*).

فَجَعَلَ الْبَيْتَ الْعُلْوِيَّ جَزَاءً لِأَعْلَىٰ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْأَوْسَطَ لِأَوْسَطِهَا، وَهُوَ تَرْكُ الْكَذِبِ، وَالْأَدْنَىٰ لِأَدْنَاهَا، وَهُوَ تَرْكُ الْمُمَارَاةِ؛ وَإِنْ كَانَ مَعَهُ حَقٌّ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ هَذَا كُلِّهِ.(*/٢).

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ[5] **عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها، **أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَهَا فَقَالَ**: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

---

(١) «في ربض الجنة»، أي: حوالي الجنة وأطرافها لا في وسطها.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: بَابٌ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، (٤٨٠٠)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه.
والحديث حسنه بشواهده الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٥٥٢- ٥٥٦، رقم ٢٧٣)، وروي عن أنس وفضالة بن عبيد رضي الله عنهما، مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ١» - السَّبْتُ ٢٨ مِنْ شَوَّالٍ ١٣٨هـ| ٢٢-٧-٢٠١٧م.

(٥) أخرجه مسلم في «الصحيح»: كتاب صلاة المسافرين: باب جامع صلاة الليل، (٧٤٦).

قَالَتْ: «أَلَيْسَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

قَالَ: «بَلَىٰ».

قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ».

وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.(*).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(٣).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ**

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق، (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٨، رقم ٢٦٤٣)، وروي عن أنس وأبي هريرة وأبي الدرداء وعلي بن أبي طالب وأبي أمامة رضي الله عنهم، مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في حسن الخلق، (٤٧٩٩)، والترمذي في «الجامع»: كتاب البر: باب ما جاء في حسن الخلق، (٢٠٠٢ و٢٠٠٣).

وفي رواية -عند الترمذي- زاد: «...، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»، وفي أخرىٰ له: «...، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وأقره ابن حجر في «فتح الباري»: (١٠/ ٤٥٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٥٣٥، رقم٨٧٦).

دَرَجَةِ الصِّيَامِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ؟».

قَالُوا: «بَلَىٰ».

قَالَ: «**صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَىٰ النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ(٢)؟ عَلَىٰ كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ(٣) سَهْلٍ(٤)**»(٥). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*).

وَمِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ: كَفُّ الْأَذَى؛ وَهَذَا مِمَّا يُذْكَرُ بِهِ الْمَرْءُ بَعْدَ مَوْتِهِ..

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الأدب: باب في إصلاح ذات البين، (٤٩١٩)، والترمذي في «الجامع»: كتاب الرقاق: باب ٥٦، (٢٥٠٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٧٠، رقم٢٨١٤).

(٢) «حرم علىٰ النار»، أي: يمنع عنها.

(٣) «كل هين لين»، أي: كل موقرا رفيقا لغيره.

(٤) «سهل»، أي: في قضاء حوائجهم.

(٥) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب الرقائق: باب ٤٥، (٢٤٨٨)، وأحمد في «المسند»: (١/ ٤١٥).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه بشواهده الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٦١١، رقم ٩٣٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

لَقَدْ جَاءَتِ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ فِي كِتَابِ اللهِ -تَعَالَى- وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ تُؤَكِّدُ عَلَى حُرْمَةِ أَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّاسِ عَامَّةً بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ النُّصُوصُ الْوَعِيدَ وَالزَّجْرَ الشَّدِيدَ لِمَنْ تَعَمَّدَ أَذِيَّةَ الْمُسْلِمِ بِأَيِّ نَوْعٍ أَوْ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْأَذِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ أَوِ الْفِعْلِيَّةِ؛ فَقَدْ نَهَى اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْإِيذَاءِ، فَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

فَهَذَا فِي النَّهْيِ عَنِ الْإِيذَاءِ.

وَالْإِيذَاءُ يَشْمَلُ الْإِيذَاءَ بِالْقَوْلِ، وَالْإِيذَاءَ بِالْفِعْلِ، وَالْإِيذَاءَ بِالتَّرْكِ.

حَرَّمَ الدِّينُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْأَذَى وَالْإِضْرَارِ؛ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِالْيَدِ، أَمْ بِاللِّسَانِ، أَمْ بِالتَّسَبُّبِ، أَمْ بِالْمُبَاشَرَةِ؛ فَقَدْ صَحَّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»(١). (*).

إِنَّ أَذِيَّةَ الْمُؤْمِنِينَ عَظِيمَةٌ، وَإِثْمَهَا عَظِيمٌ!

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأحكام: باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، (٢٣٤٠، و٢٣٤١)، من حديث: عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٣/ ٤٠٨، رقم ٨٩٦)، وروي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وجابر وعائشة وثعلبة بن أبي مالك القرظي وأبي لبابة رضي الله عنهم، مرفوعا، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ: أَلَّا يُؤْذِيَهُ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيرًا شَدِيدًا، وَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ فَضْلَ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِي تَنْحِيَةِ الْأَذَىٰ عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الْأَذَىٰ يَعْتَرِضُ الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ، أَوْ يَعْتَرِضُ الْمُسْلِمِينَ فِي حَيَاتِهِمْ.

النَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ حَالَ الْمُسْلِمِ فِي كَمَالِ إِسْلَامِهِ فَيَقُولُ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(١).

الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا عَنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ**»(٢).

وَقَالَ أَبُو بَرْزَةَ رضي الله عنه: «يَا نَبِيَّ اللهِ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (١٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ**»، وفي رواية مسلم (٤٠): عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: «الْمُرَادُ أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ جَمَعَ إِلَىٰ أَدَاءِ حُقُوقِ اللهِ تَعَالَىٰ أَدَاءَ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ».

وَخَصَّ اللِّسَانَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ الْمُعَبِّرُ عَمَّا فِي النَّفْسِ، وَهَكَذَا الْيَدُ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَفْعَالِ بِهَا.

(٢) أخرجه مُسْلِمٌ (١٩١٤).

قَالَ: «**اعْزِلِ الْأَذَىٰ عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**»(١).

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ «**إِمَاطَةَ الْأَذَىٰ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ**»(٢) فِيمَا صَحَّ عَنْهُ ﷺ.

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ أَذَىٰ الْمُؤْمِنِينَ**»(٣).

اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَكْرَهُ أَنْ يَصِلَ مِنَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ وَمِنَ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَذًىٰ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ، هَذَا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَلَا يُحِبُّهُ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: «النَّاسُ رَجُلَانِ؛ مُؤْمِنٌ فَلَا تُؤْذِهِ، وَجَاهِلٌ فَلَا تُجَاهِلْهُ»(٤).

النَّاسُ إِمَّا مُؤْمِنٌ فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَلَّا تُؤْذِيَ الْمُؤْمِنَ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الصِّنْفَ الْآخَرَ؛ وَهُوَ الْجَاهِلُ، فَالْجَاهِلُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَلَّا تُجَاهِلَهُ.(*).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٨).

(٢) أخرج مسلم (٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**».

(٣) أخرجه ابْن الْمُبَارك فِي «الزّهْد» (٦٩٢) عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الْوَرْدِ، عَنِ الْحَسَنِ بن كثير عن عِكْرِمَة بن خَالِد مُرْسلا.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس»، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١١٠) عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، قَالَ: «النَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَا تُؤْذِهِ، وَأَمَّا الْجَاهِلُ فَلَا تُجَاهِلْهُ»، وسنده لا بأس به.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ» - ١٥مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٢٥هـ| ٣-٧-٢٠٠٤م.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المِنْبَرَ؛ فَنَادَىٰ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ! لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ**».

قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَىٰ البَيْتِ، أَوْ إِلَىٰ الكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ! وَمَا أَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ»(١). وَهَذَا الحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».(*).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».(*/٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جامعه» في (كتاب البر والصلة، باب ٨٥، رقم الحديث ٢٠٣٢)، مِنْ حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَصححه لغيره الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (رقم ٢٣٣٩).

قال الترمذيُّ: «وَرُوِي عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُ هَذَا»، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاودَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (كتاب الأَدَبِ، باب ٤٠: ٧، رقم الحديثِ ٤٨٨٠)، وَصححَهُ لِغَيرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (رقم ٢٣٤٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَاب: «الْإِسْلَامُ رَحْمَةٌ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ».

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: كتاب الأدب: باب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، (١٠/ ٤٤٥، رقم ٦٠١٨)، ومسلم «الصحيح»: كتاب الإيمان: بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ،...، (١/ ٦٨، رقم ٤٧).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُسْنُ الْخُلُقِ ٢» - الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ| ٢٣-٧-٢٠١٧م.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ**(١)، **مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً؛ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ(٢). (*).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**».

فَقَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا».

فَقَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**».

قَالُوا: «وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

---

(١) قَوله: «لَا يُسلمهُ»، أَي: لَا يتْركهُ مَعَ مَا يُؤْذِيه، بل ينصره وَيدْفَع عَنهُ، قاله ابن الجوزي في «**كشف المشكل**»: ٢/ ٤٨٤.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٥/ ٩٧، رقم (٢٤٤٢)، وفي: ١٢/ ٣٢٣، رقم (٦٩٥١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٩٩٦، رقم (٢٥٨٠).

والحديث أيضا في «**صحيح مسلم**»: ٤/ ١٩٨٦، رقم (٢٥٦٤)، من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بلفظ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ دَرْسِ: «السَّعْيُ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْآخَرِينَ».

قَالَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). (*).

مِنْ أَنْوَاعِ الصَّدَقَةِ: كَفُّ الْأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ؛ فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟

قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ: «**فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ**». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٤).

تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَكَفُّ الْأَذَىٰ عَنِ النَّاسِ صَدَقَةٌ، كَفُّ الشَّرِّ عَنْهُمْ صَدَقَةٌ يَأْتِي بِهَا الْكَافُّ. (*/٢).

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرِهِ: «أَنَّ رَجُلًا كَتَبَ إِلَىٰ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ.

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/ ٨، رقم ٦٢٢٩)، ومسلم: (٣/ ١٦٧٥، رقم ٢١٢١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

(٣) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٢٥١٨)، وَمُسْلِمٌ (٨٤).

(٤) أخرجه الْبُخَارِيُّ (٦٠٢٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٠٨).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (مُحَاضَرَة ٢٦)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٧-١١-٢٠١٣م.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَىٰ اللهَ ﷻ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ، خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافَّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، لَازِمًا أَمْرَ جَمَاعَتِهِمْ فَافْعَلْ»(١). (*).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «خُطْبَةُ عِيدِ الْأَضْحَىٰ لِعَامِ ١٤٣٤هـ.. اكْتُبْ إِلَيَّ الْعِلْمَ كُلَّهُ!» - الثُّلَاثَاءُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ١٥-١٠-٢٠١٣م.

الْأَثَرُ الطَّيِّبُ بَعْدَ الْمَمَاتِ لِلْعِلْمِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّدَقَاتِ

إِنَّ الْأَخْيَارَ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ يَفْقِدُهُمُ النَّاسُ؛ بِسَبَبِ آثَارِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَأَعْمَالِهِمُ النَّافِعَةِ، وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى الْخَلْقِ، وَهُنَاكَ أَعْمَالٌ يَبْقَى لِلْعَبْدِ أَجْرُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ وَرَحِيلِهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ طَالِبِ نَجَاةٍ أَنْ يَحْرِصَ عَلَيْهَا، وَأَلَّا يُفَوِّتَهَا، وَأَنْ يَضْرِبَ فِيهَا بِسَهْمٍ وَنَصِيبٍ قَدْرَ جُهْدِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ -أَشْيَاءٍ-، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ».

«**وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»: كُلُّ عَمَلِ صَالِحٍ عَمِلَهُ فَأَخَذَ عَلَيْهِ ثَوَابًا وَتَحَصَّلَ مِنْ وَرَائِهِ عَلَىٰ أَجْرٍ؛ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مِثْلُ ذَلِكَ الْأَجْرِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -أَيْضًا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا يَلْحِقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ**»(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.(*).

الصَّدَقَاتُ الْجَارِيَةُ وَالْأَوْقَافُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ لِلْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ، قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ** [أَشْيَاءٍ]، **إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ**»(٣).

«**إِنَّ مِمَّا يَلْحِقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ**»(٤).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟».

قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ لِلْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ» (الْمُحَاضَرَة: ٢٠)، الثُّلَاثَاءُ ٢٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٩هـ| ١-٤-٢٠٠٨م.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

قَالَ: «فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ؛ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ، وَلَا يُوهَبُ، وَلَا يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَىٰ وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ، لَا جُنَاحَ عَلَىٰ مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ».

قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ سِيرِينَ فَقَالَ: «غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالًا»(١).

الْوَلَدُ الصَّالِحُ مِمَّا يَنْفَعُ وَالِدَيْهِ نَفْعًا عَظِيمًا بَعْدَ مَوْتِهِمَا؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَجْعَلُ لِلْعَبْدِ وَلَدًا صَالِحًا فِي الدُّنْيَا، يَتَأَتَّىٰ مِنْهُ دُعَاءٌ صَالِحٌ فِي الْآخِرَةِ، يَصِلُ إِلَيْهِ فِيهَا أَجْرُهُ -بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ** -مِنْهَا-: **أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو اللهَ لَهُ**»(٢).

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ الَّذِي يَتَأَتَّىٰ مِنَ الْوَلَدِ الصَّالِحِ بِالدُّعَاءِ لِأَبَوَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا هُوَ اسْتِمْرَارٌ لِحَيَاتِهِ هُوَ، كَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.(*).

فَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِلْمَرْءِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَزُخْرًا لَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ، ثُمَّ يَكُونُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَفْعًا فِي الدَّرَجَاتِ.(*/٢).

وَهَذَا زَكَرِيَّا عليه السلام سَأَلَ اللهَ وَلَدًا ذَكَرًا صَالِحًا، يَبْقَىٰ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَيَكُونُ وَلِيًّا مِنْ بَعْدِهِ، وَيَكُونُ نَبِيًّا مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ، وَهَذَا أَفْضَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَوْلَادِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ الزِّفَافِ وَأَحْكَامُهُ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «نِعْمَةُ الزَّوَاج».

وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صَالِحًا، جَامِعًا لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الشِّيَمِ، فَرَحِمَهُ رَبُّهُ وَاسْتَجَابَ دَعْوَتَهُ.

فَبَشَّرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ يَدِ الْمَلَائِكَةِ بِيَحْيَىٰ عليه السلام، وَسَمَّاهُ اللهُ لَهُ (يَحْيَىٰ)، وَكَانَ اسْمًا مُوَافِقًا لِمُسَمَّاهُ: يَحْيَا حَيَاةً حِسِّيَّةً، فَتَتِمُّ بِهِ الْمِنَّةُ، وَيَحْيَا حَيَاةً مَعْنَوِيَّةً وَهِيَ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ بِالْوَحْيِ وَالْعِلْمِ وَالدِّينِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم:٥-٧].

قَالَ زَكَرِيَّا عليه السلام: وَإِنِّي خِفْتُ أَقَارِبِي وَعَصَبَتِي أَلَّا يُحْسِنُوا خِلَافَتِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي، فَيُفْسِدُوا فِي مَرَاكِزِ السُّلْطَةِ الدِّينِيَّةِ، وَلَا أَجِدُ فِيهِمْ رَجُلًا صَالِحًا مُؤَهَّلًا لِأَنْ يَكُونَ وَارِثًا مُحَافِظًا عَلَىٰ شَرَائِعِ الدِّينِ وَتَعْلِيمَاتِهِ.

وَكَانَتِ امْرَأَتِي فِيمَا مَضَىٰ مِنْ عُمُرِهَا عَاقِرًا لَا تَلِدُ؛ فَأَعْطِنِي مِنْ مَحْضِ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ، وَقُدْرَتِكَ الْبَاهِرَةِ وَارِثًا مِنْ ذُرِّيَّتِي، وَمُعِينًا يَتَوَلَّانِي.

يَرِثُ الْعِلْمَ وَالْقِيَامَ بِأُمُورِ الدِّينِ مِنْ بَعْدِي، وَيَرِثُ -مِنْ بَعْضِ آلِ يَعْقُوبَ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ- النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ، وَاجْعَلْهُ رَبِّ بَرًّا تَقِيًّا كَثِيرًا الرِّضَا عَنْكَ فِيمَا تَجْرِي بِهِ مَقَادِيرُكَ، مَرْضِيًّا عِنْدَكَ قَوْلًا وَفِعْلًا.

فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَىٰ دُعَاءَهُ؛ فَقَالَ: يَا زَكَرِيَّا! إِنَّا لِعَظِيمِ رُبُوبِيَّتِنَا نُبَشِّرُكَ بِوَلَدٍ ذَكَرٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ، لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِاسْمِهِ، وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ شَبِيهًا فِي

صِفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ.(*).

وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُورِثُ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ -بِإِذْنِ اللهِ-، وَالْأَثَرَ الطَّيِّبَ، وَالذِّكْرَ الْجَمِيلَ، وَالثَّنَاءَ الْحَسَنَ: نَشْرُ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا، خَاصَّةً الدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ؛ فَإِذَا انْقَطَعَتِ الْأَعْمَالُ بِالْمَوْتِ، وَطُوِيَتْ صَحِيفَةُ الْعَبْدِ؛ فَأَهْلُ الْعِلْمِ حَسَنَاتُهُمْ تَتَزَايَدُ كُلَّما انْتُفِعَ بِإِرْشَادِهِمْ وَاهْتُدِيَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ؛ فَحَقِيقٌ بِالْعَاقِلِ الْمُوَفَّقِ أَنْ يُنْفِقَ فِيهِ نَفَائِسَ أَوْقَاتِهِ، وَجَوَاهِرَ عُمُرِهِ، وَأَنْ يُعِدَّهُ لِيَوْمِ فَقْرِهِ وَفَاقَتِهِ.

«إِنَّ دَرَجَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالرَّبَّانِيَّةِ وَوِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ وَخِلَافَةِ الرِّسَالَةِ هِيَ أَفْضَلُ دَرَجَاتِ الْأُمَّةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِهَا وَشَرَفِهَا إِلَّا أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلِمَ بِتَعْلِيمِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ أَوْ عَلَّمَ غَيْرَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مَا دَامَ ذَلِكَ جَارِيًا فِي الْأُمَّةِ عَلَىٰ آبَادِ الدُّهُورِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «**وَاللهِ! لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(٢).

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [مريم: ٤-٧].

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الجهاد والسير: باب دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام والنبوة ...، (٢٩٤٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي رضي الله عنه، (٢٤٠٦)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه.

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ -أَيْضًا- أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٢).

وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**»(٣).

وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ عَظِيمٍ وَافِرٍ**»(٤).

وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا**»(٥).

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا مِائَتَيْ دَلِيلٍ عَلَىٰ فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ فِي كِتَابٍ مُفْرَدٍ، **فَيَا لَهَا مِنْ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني (٨/ ٢٣٣) (٧٩١١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٠٥٦) واللفظ له، وأحمد (١٦٧٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٤٩٨) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) واللفظ له، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٦٤١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

مَرْتَبَةٍ مَا أَعْلَاهَا، وَمَنْقَبَةٍ مَا أَجَلَّهَا وَأَسْنَاهَا، أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مَشْغُولًا بِبَعْضِ أَشْغَالِهِ، أَوْ فِي قَبْرِهِ قَدْ صَارَ أَشْلَاءً مُتَمَزِّقًا وَأَوْصَالًا مُتَفَرِّقَةً، وَصُحُفُ حَسَنَاتِهِ مُتَزَايِدَةٌ يُمْلَىٰ فِيهَا الْحَسَنَاتُ كُلَّ وَقْتٍ، وَأَعْمَالُ الْخَيْرِ مُهْدَاةٌ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ!

تِلْكَ -وَاللهِ- الْمَكَارِمُ وَالْغَنَائِمُ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَعَلَيْهِ يَحْسُدُ الْحَاسِدُونَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَحَقِيقٌ بِمَرْتَبَةٍ هَذَا شَأْنُهَا أَنْ تُنْفَقَ نَفَائِسُ الْأَنْفَاسِ عَلَيْهَا، وَيَسْبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيْهَا، وَتُوَفَّرَ عَلَيْهَا الْأَوْقَاتُ، وَتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا الطَّلَبَاتُ -فَنَسْأَلُ اللهَ الَّذِيْ بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ خَيْرٍ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْنَا خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ-.

وَأَصْحَابُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ يُدْعَوْنَ عُظَمَاءَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَىٰ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ.

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْعُدُولُ حَقًّا بِتَعْدِيلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ؛ إِذْ يَقُولُ فِيمَا يُرْوَىٰ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ سَنَدَ بَعْضُهَا بَعْضًا: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولٌ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ».

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيهِمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ فِي «الرَّدِّ عَلَىٰ الْجَهْمِيَّةِ»[1]: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ

(١) «الرد علىٰ الجهمية» (ص: ٥٥) للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ.

الْعِلْمِ يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَىٰ الْهُدَىٰ، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْأَذَىٰ، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَىٰ، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَمِنْ ضَالٍّ جَاهِلٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَىٰ النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ»[(١)].

إِنَّ التَّوْحِيدُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، إِذَا مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَىٰ الْعَبْدِ وَكَمُلَ تَوْحِيدُهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ فَهَذَا مِنْ تَمَامِ التَّوْحِيدِ[(٢)].

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].(*).

قُلْ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَنْ تَدْعُوهُمْ لِلِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِكَ: هَذِهِ طَرِيقِي الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا -وَهِيَ تَوْحِيدُ اللهِ وَدِينُ الْإِسْلَامِ- عَلَىٰ عِلْمٍ جَلِيٍّ وَاضِحٍ لَا شُبْهَةَ فِيهِ وَحُجَجٍ بُرْهَانِيَّةٍ قَاطِعَةٍ، أَنَا وَمَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَنَحْنُ مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْعِلْمِ الْوَاضِحِ الْجَلِيِّ الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ بِمَثَابَةِ الْبَصَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْمَرْئِيَّاتِ الْحِسِّيَّةِ.

فَلَسْنَا مُجْبِرِينَ وَلَا مُكْرِهِينَ أَحَدًا عَلَىٰ الْإِيمَانِ، إِنَّمَا نَحْنُ دُعَاةٌ فَقَطْ، وَلَا نَنْصُرُ الْحَقَّ الرَّبَّانِيَّ بِالْبَاطِلِ وَلَا بِالْأَكَاذِيبِ.

---

(١) «الرد علىٰ الجهمية» (ص: ٥٥) للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص: ٣٥٣-٣٥٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: بَابٌ: الدُّعَاءُ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» - الْأَحَدُ ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٠-٧-٢٠١٤م.

وَأُنَزِّهُ اللهَ -تَعَالَىٰ- عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ.

وَقُلْ يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا أَنَا وَلَا كُلُّ مَنْ آمَنَ اتَّبَعَنِي اتِّبَاعًا صَحِيحًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللهِ غَيْرَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ(١).(*).

الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ أَزْكَىٰ الْأَعْمَالِ وَأَفْضَلِ الْمُهِمَّاتِ؛ لِأَنَّهَا وَظِيفَةُ الرُّسُلِ - عَلَيهِم الصَلَاةُ وَالسَلَام-، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أُجُورٌ عَظِيمَةٌ يَنَالُهَا الدُّعَاةُ إِذَا أَخْلَصُوا النِّيَّةَ للهِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ(٣) ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٤).

وَيَا لَهَا مِنْ بِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ لِمَنْ عَقَلَهَا!

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ؛ لِيَلْحَقَ بِرَكْبِ الدُّعَاةِ الْمُصْلِحِينَ؛ لِأَنَّكَ إِنْ دَلَلْتَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الْخَيْرِ فَعَمِلُوا بِهِ،

---

(١) انظر: «**المختصر في تفسير القرآن**»: (ص٢٤٨)، و«**التفسير الميسر**»: (ص٢٤٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [يوسف: ١٠٨].

(٣) كذا «**لَا يُنْقِصُ**» بضم الياء وكسر القاف، والصواب: «لَا يَنْقُصُ» بفتح الياء وضم القاف: عَلَىٰ بِنَاءِ الْفَاعِلِ، وَضَمِيرُهُ: لِإِعْطَاءِ مِثْلِ أَجْرِ الْعَامِلِينَ لِمَنْ سَنَّ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٤].

كذا ضبطه ابن رسلان في شرح سنن أبي داود: (١٨/ ١٢٢)، وعلي القاري في «**مرقاة المفاتيح**»: (١/ ٢٤٢، رقم ١٥٨)، والسندي في حاشيته علىٰ سنن ابن ماجه: (١/ ٩٠، رقم ٢٠٣).

(٤) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: كتاب العلم، (٢٦٧٤)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

فَلَكَ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، فَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَعَطِيَّةٌ جَلِيلَةٌ، لِمَنْ فقَهَهَا.

وَدَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَتْبَاعِهِ تَرْتَكِزُ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ، هُمَا:

* **الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ للهِ فِي الدَّعْوَةِ**؛ رَاغِبِينَ فِي نَفْعِ الْخَلْقِ وَإِصْلَاحِهِمْ، لَا يَقْصِدُونَ بِدَعْوَتِهِمْ تَحْصِيلَ مَالٍ، وَلَا رِئَاسَةٍ، وَلَا طَلَبَ مَدْحٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ -تَعَالَىٰ-: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف:١٠٨]؛ وَهَذَا مَدْلُولُ شَهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَهَذِهِ هِيَ الرَّكِيزَةُ الْأُولَىٰ.

* **وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَالْعِلْمُ وَالْبَصِيرَةُ**؛ فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِخْلَاصِ: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف:١٠٨] لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ، لَا إِلَىٰ حَظٍّ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ، وَلَا لِغَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَإِنَّمَا أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].

فَتَكُونُ الدَّعْوَةُ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ فِي دِينِ اللهِ، يَسْتَضِيءُ الدُّعَاةُ بِنُصُوصِ الشَّرِيعَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].

وَهَذَا مِنْ مَدْلُولِ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّبِعَ طَرِيقَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ يُخْلِصَ للهِ فِي دَعْوَتِهِ، وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْمَعَايِبِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُنَزِّهَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨].

وَيَجِبُ عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

فَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ؛ مُبْتَغِيًا بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، وَأَنْ يُنَزِّهَ اللهَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَأَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ فِي الِاعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ وَالسُّكْنَىٰ.

هَذِهِ الْآيَةُ الْعَظِيمَةُ هِيَ قَانُونُ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ.

«﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف:١٠٨] الْمُشَارُ إِلَيْهِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ: عِبَادَةً، وَدَعْوَةً إِلَىٰ اللهِ.

﴿سَبِيلِىٓ﴾؛ أَيْ: طَرِيقِي.

﴿أَدْعُوٓاْ﴾: حَالٌ مِنَ الْيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَبِيلِىٓ﴾، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ اسْتِئْنَافًا لِبَيَانِ تِلْكَ السَّبِيلِ.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: لِأَنَّ الدُّعَاةَ إِلَىٰ اللهِ يَنْقَسِمُونَ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

١- دَاعٍ إِلَىٰ اللهِ.

٢- وَدَاعٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ.

فَالدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- هُوَ: الْمُخْلِصُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُوصِلَ النَّاسَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

وَالدَّاعِي إِلَىٰ غَيْرِهِ: قَدْ يَكُونُ دَاعِيًا إِلَىٰ نَفْسِهِ، يَدْعُو إِلَىٰ الْحَقِّ لِأَجْلِ أَنْ يُعَظَّمَ بَيْنَ النَّاسِ وَيُحْتَرَمَ، وَلِهَذَا تَجِدُهُ يَغْضَبُ إِذَا لَمْ يَفْعَلِ النَّاسُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَلَا يَغْضَبُ إِذَا ارْتَكَبُوا نَهْيًا أَعْظَمَ مِنْهُ، لَكِنْ لَمْ يَدْعُ هُوَ إِلَىٰ تَرْكِهِ، فَارْتَكَبُوهُ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِمَّا دَعَا إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُطِيعُوهُ غَضِبَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُطِيعُوهُ، فَكَأَنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ عِبَادَتِهِ هُوَ لَا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ ﷻ.

وَقَدْ يَكُونُ دَاعِيًا إِلَىٰ كَبِيرِهِ كَمَا يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ مِنْ عُلَمَاءِ الضَّلَالِ، مِنْ عُلَمَاءِ الدُّوَلِ لَا عُلَمَاءِ الْمِلَلِ، يَدْعُونَ إِلَىٰ كُبَرَائِهِمْ.

مَنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ رَأَىٰ النَّاسَ فَارِّينَ مِنْهُ، فَلَا يَيْأَسُ، وَلَا يَتْرُكُ الدَّعْوَةَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ**[1]، **فَوَ اللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**[2]» كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[3].

يَعْنِي: أَنَّ اهْتِدَاءَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ قَبَائِلِ الْيَهُودِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، فَإِذَا دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَلَمْ يُجَبْ، فَلْيَكُنْ غَضَبُهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْحَقَّ لَمْ يُتَّبَعْ، لَا لِأَنَّهُ لَمْ يُجَبْ.

---

(١) «انْفُذْ» بِضَمِّ الْفَاءِ، أَيِ: امْضِ، «عَلَىٰ رِسْلِكَ» بِكَسْرٍ فَسُكُونٍ، أَيْ: رِفْقِكَ وَلِينِكَ.

(٢) «حُمْر النَّعَم»، أي: الإبل الحمراء، وكانت أنفس الأموال عند العرب، وَيَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَلَ فِي نَفَاسَةِ الشَّيْءِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنْهُ.
وَ«الْحُمْرُ» بِضَمٍّ فَسُكُونٍ: جَمْعُ (أَحْمَرَ)، وَأَمَّا بِضَمِّ الْمِيمِ، فَهُوَ: جَمْعُ (حِمَارٍ)، وَ«النَّعَمُ» بِفَتْحَتَيْنِ، وَقَدْ يُكْسَرُ عَيْنُهُ: الْإِبِلُ، وَأَمَّا (النِّعَمُ) بِكَسْرِ النُّونِ، فَهُوَ: جَمْعُ نِعْمَةٍ.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الجهاد والسير: باب دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام والنبوة ..، (٢٩٤٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل علي رضي الله عنه، (٢٤٠٦)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه.

فَإِذَا كَانَ يَغْضَبُ لِهَذَا، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ، فَإِذَا اسْتَجَابَ وَاحِدٌ كَفَىٰ، وَإِذَا لَمْ يَسْتَجِبْ أَحَدٌ فَقَدْ أَبْرَأَ ذِمَّتَهُ أَيْضًا، وَفِي الْحَدِيثِ: «**وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»(١). (*).

إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَشْرَفُ وَأَكْرَمُ مَقَامَاتِ التَّعَبُّدِ للهِ.. هِيَ أَكْرَمُ مَقَامٍ يَقُومُهُ عَبْدٌ لِرَبِّهِ أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَيْهِ، دَالًّا عَلَيْهِ، مُرْشِدًا إِلَىٰ صِرَاطِهِ، مُتَّبِعًا لِسَبِيلِ نَبِيِّهِ، مُقِيمًا عَلَىٰ ذَلِكَ، مُخْلِصًا فِيهِ، آتِيًا بِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾**﴾ [فصلت: ٣٣]. (*/٢).

أَصْلُ الْإِسْلَامِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ مُقْتَضَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَنْ يَكُونَ قَصْدُهُمْ بِجِهَادِهِمْ هِدَايَةَ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «**انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ**»؛ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، إِلَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الطب: باب من اكتوىٰ أو كوىٰ غيره ..، (٥٧٠٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب الإيمان: باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (٢٢٠)، من حديث: ابن عباس رضي الله عنهما.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: بَابٌ: الدُّعَاءُ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» - الْأَحَدُ ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٠-٧-٢٠١٤م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ سَفِينَةُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ صَفَر ١٤٢٩هـ| ١٥-٢-٢٠٠٨م.

فَهَذَا الْجِهَادُ كُلُّهُ مِنْ أَجْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لَهُ كَيْفَ يَدْعُوهُمْ؛ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَتِ الدَّعْوَةُ قَدْ بَلَغَتْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ، أَمَّا إِذَا لَمْ تَبْلُغْهُمْ فَيَجِبُ دَعْوَتُهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ.

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا: إِنْ هُمْ أَجَابُوهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِمَا يَجِبُ مِنْ شَرَائِعِهِمُ الَّتِي لَابُدَّ لَهُمْ مِنْ فِعْلِهَا؛ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

عَلَيْنَا أَنْ نَحْرِصَ عَلَىٰ هِدَايَةِ الْكُفَّارِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ إِنْقَاذِهِمْ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ، وَالشَّقَاءِ وَالضَّيَاعِ وَالضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا؛ وَفِي هَذَا أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ حَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ تَرْغِيبًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ فَقَالَ: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»؛ أَيْ: هِدَايَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ يَدَيْكَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْإِبِلِ الْحُمْرُ؛ وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِهَا لِأَنَّهَا أَنْفَسُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلتَّقْرِيبِ إِلَىٰ الْأَذْهَانِ؛ وَإِلَّا فَنَعِيمُ الْآخِرَةِ لَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا.(*).

«**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ كُلِّ** مَا يُسْتَحْسَنُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا»(٢).(*/٢).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ: بَابٌ: الدُّعَاءُ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» - الْأَحَدُ ٢٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٠-٧-٢٠١٤م.

(٢) «**القول المفيد**»: (٩/ ١٣٤-مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَاب: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ» - الثُّلَاثَاءُ ١٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٣-١٢-٢٠١١م.

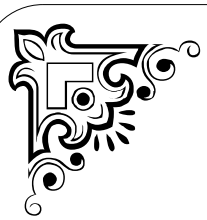

احْذَرْ أَنْ تَمُرَّ وَلَا أَثَرَ طَيِّبَ لَكَ!

عِبَادَ اللهِ! احْذَرُوا أَنْ تَمُرُّوا وَلَا أَثَرَ طَيِّبَ لَكُمْ؛ فَإِنَّ الْفَاجِرَ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ؛ فَقَدْ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾**﴾ [الدخان: ٢٩].

«﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩] أَيْ: لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ تَصْعَدُ فِي أَبْوَابِ السَّمَاءِ فَتَبْكِي عَلَىٰ فَقْدِهِمْ، وَلَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِقَاعٌ عَبَدُوا اللهَ فِيهَا فَقَدَتْهُمْ؛ فَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَلَّا يُنْظَرُوا وَلَا يُؤَخَّرُوا؛ لِكُفْرِهِمْ وَإِجْرَامِهِمْ، وَعُتُوِّهِمْ وَعِنَادِهِمْ»(١).

«﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩]: لَمَّا أَتْلَفَهُمُ اللهُ وَأَهْلَكَهُمْ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، أَيْ: لَمْ يُحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُؤْسَ عَلَىٰ فِرَاقِهِمْ، بَلْ كُلٌّ اسْتَبْشَرَ بِهَلَاكِهِمْ وَتَلَفِهِمْ حَتَّىٰ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ؛ لِأَنَّهُمْ مَا خَلَّفُوا مِنْ آثَارِهِمْ إِلَّا مَا يُسَوِّدُ وُجُوهَهُمْ وَيُوجِبُ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةَ وَالْمَقْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٣).

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان:٢٩] أَيْ: مُمْهَلِينَ عَنِ الْعُقُوبَةِ، بَلِ اصْطَلَمَتْهُمْ فِي الْحَالِ»(١).

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**».

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟».

فَقَالَ: «**الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«مُرَّ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ**»، ثُمَّ فَسَّرَهُ: بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْفَاجِرَ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ.

وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَوْتَىٰ قِسْمَانِ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، وَنَصَبُ الدُّنْيَا: تَعَبُهَا.

وَأَمَّا اسْتِرَاحَةُ الْعِبَادِ مِنَ الْفَاجِرِ مَعْنَاهَا: انْدِفَاعُ أَذَاهُ عَنْهُمْ، وَأَذَاهُ يَكُونُ مِنْ وُجُوهٍ مِنْهَا: ظُلْمُهُ لَهُمْ، وَمِنْهَا ارْتِكَابُهُ لِلْمُنْكَرَاتِ؛ فَإِنْ أَنْكَرُوهَا قَاسَوْا مَشَقَّةً مِنْ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا نَالَهُمْ ضَرَرُهُ، وَإِنْ سَكَتُوا عَنْهُ أَثِمُوا، وَاسْتِرَاحَةُ الدَّوَابِّ مِنْهُ كَذَلِكَ؛

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩١١).

(٢) أخرجه مسلم (٩٥٠).

لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْذِيهَا وَيَضُرُّ بِهَا وَيُحَمِّلُهَا مَا لَا تُطِيقُهُ، وَيُجِيعُهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَاسْتِرَاحَةُ الْبِلَادِ وَالشَّجَرِ، فَقِيلَ: لِأَنَّهَا تُمْنَعُ الْقَطْرَ بِمُصِيبَتِهِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَغْصِبُهَا وَيَمْنَعُهَا حَقَّهَا مِنَ الشُّرْبِ وَغَيْرِهِ»[1].

❀❀❀

(١) «شرح مسلم للنووي» (٧/ ٢١).

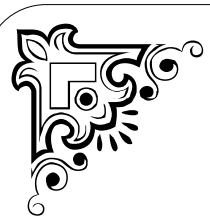

أَعْلَى النَّاسِ ذِكْرًا وَأَطْيَبُهُمْ أَثَرًا فِي التَّارِيخِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ أَرْفَعَ النَّاسِ قَدْرًا، وَأَبْقَاهُمْ ذِكْرًا، وَأَطْيَبَهُمْ أَثَرًا، وَأَعْظَمَهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُمْ لِلْخَلْقِ نَفْعًا عَبْرَ تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهِ: النَّبِيُّ الْمُكَرَّمُ مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْهُ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ٤].

«أَيْ: أَعْلَيْنَا قَدْرَكَ، وَجَعَلْنَا لَكَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ الْعَالِيَ الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا يُذْكَرُ اللهُ إِلَّا ذُكِرَ مَعَهُ رَسُولُهُ ﷺ، كَمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَالْخُطَبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَعْلَىٰ اللهُ بِهَا ذِكْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلَهُ فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ بَعْدَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، فَجَزَاهُ اللهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ»(١).

مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ رَبُّهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فَاللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- يُرْسِلُ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ قَاطِبَةً، اللهُ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٩٦).

رَبُّ الْعَالَمِينَ يَجْعَلُ مُحَمَّدًا رَحْمَةً لِلْأَنَاسِيِّ، وَرَحْمَةً لِلْجِنِّ، وَرَحْمَةً لِلْبَهَائِمِ؛ بَلْ وَرَحْمَةً لِلْجَمَادَاتِ، وَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا يَأْتُونَ قَوْمَهُمْ بِالْبَشَارَةِ وَالنَّذَارَةِ، فَإِذَا مَا أَطَاعُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ أَنْجَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَإِذَا مَا تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا، وَرَدُّوا الْأَمْرَ عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ وَرَسُولِهِمُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ؛ أَنْزَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِمُ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الشَّدِيدِ وَالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ فِي النَّارِ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ، إِلَّا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَ النَّبِيَّ ﷺ لِلنَّاسِ كَافَّةً، فَمَنْ أَطَاعَ النَّبِيَّ أَحْيَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَىٰ الْحَيَاةِ الْأَطْيَبِ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَنِعْمَ دَارُ الْقَرَارِ.

وَمَنْ عَصَىٰ النَّبِيَّ ﷺ؛ لَمْ يُصِبْهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْخَسْفِ، وَلَمْ يُصِبْهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْمَسْخِ، وَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ طُوفَانًا مُتَفَجِّرًا مِنْ أَطْوَاءِ الْأَرْضِ، وَمُنْهَمِرًا مِنْ طَيَّاتِ السَّمَاءِ، وَلَمْ يُسَلِّطِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةَ، بَلْ يُنْذِرُهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُنْظِرُهُمْ حَتَّىٰ يَقْدُمُوا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوَفِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَا قَدَّمَ؛ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَالْإِحْسَانُ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَالسُّوأَىٰ.

جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، رَحْمَةً شَامِلَةً عَامَّةً -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ-.

إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَكْمَلَ خَلْقَهُ وَخُلُقَهُ ﷺ، فَجَاءَ ﷺ زِينَةَ الْأَبْصَارِ وَبَهْجَةَ الْقُلُوبِ، وَجَاءَ ﷺ مِلْءَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، حَبِيبًا قَرِيبًا لِلْأَفْئِدَةِ الْمُطِيعَةِ للهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّتِي تَسْلُكُ نَهْجَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّتِي تَسِيرُ فِي الْحَيَاةِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا وَسُنَّةً، ثُمَّ جَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شَجًى فِي حُلُوقِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، وَجَعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَذًى فِي أَعْيُنِ الَّذِينَ لَا يُسْلِمُونَ، ثُمَّ مَرَدُّهُمْ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُنَاكَ يَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ!!

أَكْمَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَأَمَّا الظَّاهِرُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِيهِ مَا لَا يُحْصَىٰ، وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: أَنَّكَ إِذَا مَا نَظَرْتَ فِي وَجْهِهِ ﷺ؛ دَلَّكَ مَظْهَرُهُ عَلَىٰ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مَخْبَرُهُ ﷺ.

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَظْهَرُهُ يُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا بَاطِنُهُ.. وَأَمَّا مَخْبَرُهُ؛ فَخُذْ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ الشَّمَائِلِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي هِيَ عَزِيزَةٌ فِي دُنْيَا النَّاسِ، وَالَّتِي يَجْعَلُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حِلْيَةً وَزِينَةً؛ بَلْ يَجْعَلُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَصْلًا مِنْ أُصُولِ دِينِ الْإِسْلَامِ، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ الْعَدْنَانُ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ**»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ (٤١٨١)، مِنْ طَرِيقِ: مُعَاوِيَةَ بْنِ يَحْيَىٰ الصُّوفِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ.
وَمُعَاوِيَةُ بْنُ يَحْيَىٰ: ضَعِيفٌ لَا يُحْتَجُّ بِهِ.
وَأَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأِ» (٢/ ٩٠٥) (٩) (ط. عَبْدِ الْبَاقِي)، قَالَ: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ صَفْوَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ طَلْحَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهِ، مُرْسَلًا.
وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩٤٠).

النَّبِيُّ ﷺ قِيلَ فِي وَصْفِهِ: «أَشَدُّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ﷺ»(١).

أَمَّا خِصَالُ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي حَلَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا خُلُقَهُ؛ فَأَمْرٌ فَوْقَ الْوَصْفِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْقَضِي فِيهِ الْعَجَبُ.

ثُمَّ إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَأْمُرُكُمْ -مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ- أَنْ تَجْعَلُوا النَّبِيَّ أُسْوَةً لَكُمْ ﷺ(*)، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- فِي أَقْوَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَثِقَتِهِ بِاللهِ، وَثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، وَصَبْرِهِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَقِتَالِهِ بِنَفْسِهِ، وَكُلِّ جُزْئِيَّاتِ سُلُوكِهِ فِي الْحَيَاةِ.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِ قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ، وَخَصْلَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يُؤْتَسَىٰ وَيُقْتَدَىٰ بِهَا لِمَنْ كَانَ يُؤَمِّلُ مُرْتَقِبًا ثَوَابَ اللهِ، وَيَرْجُو السَّعَادَةَ الْخَالِدَةَ يَوْمَ الدِّينِ، وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ الْمَوَاطِنِ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»(٣). (*/٢).

النَّبِيُّ ﷺ مَاذَا يَقُولُ فِيهِ القَائِلُونَ؟!!

---

(١) أخرجه البخاري: (١٠/ ٥١٣، رقم ٦١٠٢)، ومسلم: (٤/ ١٨٠٩ - ١٨١٠، رقم ٢٣٢٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «النَّبِيُّ الْأُسْوَةُ ﷺ» - الْجُمُعَةُ: ١٢-٧-١٩٩٦م.

(٣) «المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين»: (ص٤٢٠).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأحزاب: ٢١].

وَبِمَاذَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ؟!! وَقَدْ وَصَفَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَمَدَحَهُ بِخَيْرِ مِدْحَةٍ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

بَشَرٌ مِنَ الْبَشَرِ، اصْطَفَاهُ اللهُ وَأَكْرَمَهُ! وَجَعَلَهُ خَلِيلَهُ، وَخَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ، وَصَفْوَةَ رُسُلِهِ، وَأَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْهِ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْهِ!!

بَشَرٌ لَمْ يُخْطِئْ قَطُّ، لَمْ يَعْتَمِلْ فِي صَدْرِهِ خَاطِرُ سُوءٍ أَبَدًا!!

وَالْوَاحِدُ مِنَّا يُحَاوِلُ مَا يُحَاوِلُ فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِ بَعْضِ كَمَالَاتِ نَفْسِهِ، وَتَعْزِيزِ فُؤَادِهِ بِبَعْضِ الْقِيَمِ الثَّابِتَةِ وَالْأُصُولِ الرَّاسِخَةِ مِنَ المَكَارِمِ المُنِيفَةِ وَالْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ، يُحَاوِلُ مَا يُحَاوِلُ جَاهِدًا، وَيَفْشَلُ فِي كُلِّ حِينٍ!!

يَا لَلَّه!

مَا أَعْظَمَهُ!

وَمَا أَكْرَمَهُ!

وَمَا أَجَلَّهُ!

وَمَا أَحْلَمَهُ ﷺ!

نَبِيٌّ مِنَ الْبَشَرِ، هُوَ قُدْوَةٌ وَأُسْوَةٌ، لَمْ يُخْطِئْ قَطُّ، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ عَوْرَاءَ قَطُّ، لَمْ يَجُلْ فِي ضَمِيرِهِ خَاطِرُ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا جَالَ بِخَيَالِهِ خَاطِرُ شَرٍّ قَطُّ، مُسْتَقِيمٌ عَلَىٰ الْجَادَّةِ، لَا تُحْصَىٰ لَهُ هَفْوَةٌ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا.

وَقَدْ أُحْصِيَتْ حَيَاتُهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا مِنْ مِيلَادِهِ إِلَىٰ وَفَاتِهِ، فَمَا عُرِفَتْ لَهُ

هَفْوَةٌ، وَلَا أُحْصِيَتْ عَلَيْهِ زَلَّةٌ ﷺ، هُوَ الْمَثَلُ الْكَامِلُ، وَالأُسْوَةُ الشَّرِيفَةُ، وَالْقُدْوَةُ الْمُنِيفَةُ؛ فَانْهَلْ مِنْ أَخْلَاقِهِ، عَسَىٰ أَنْ يَرْحَمَكَ اللهُ!!(*).

لَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ جَلَّوَعَلَا النَّبِيَّ ﷺ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَحَبَاهُ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْآدَابِ السَّامِيَةِ وَجَوَامِعِ الْمُثُلِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ فَكَانَ ﷺ نِعْمَ الْقُدْوَةُ لِأُمَّتِهِ وَلِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

«﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ حِينَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ الرُّسُلِ قَبْلَكَ ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢]: وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، سَمَّاهُ رُوحًا؛ لِأَنَّ الرُّوحَ يَحْيَا بِهَا الْجَسَدُ، وَالْقُرْآنُ تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَرْوَاحُ، وَتَحْيَا بِهِ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالْعِلْمِ الْغَزِيرِ.

وَهُوَ مَحْضُ مِنَّةِ اللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مِنْهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ [الشورىٰ:٥٢]؛ أَيْ: قَبْلَ نُزُولِهِ عَلَيْكَ ﴿مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ:٥٢]؛ أَيْ: لَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِأَخْبَارِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَلَا إِيمَانٌ وَعَمَلٌ بِالشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ، بَلْ كُنْتَ أُمِّيًّا لَا تَخُطُّ وَلَا تَقْرَأُ، فَجَاءَكَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي ﴿جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ:٥٢] يَسْتَضِيئُونَ بِهِ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الْأَحَدُ ٢٩ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٩هـ| ٩-٩-٢٠١٨م.

ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ، وَيَعْرِفُونَ بِهِ الْحَقَائِقَ، وَيَهْتَدُونَ بِهِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورىٰ:٥٢]؛ أَيْ: تُبَيِّنُهُ لَهُمْ، وَتُوَضِّحُهُ وَتُنِيرُهُ، وَتُرَغِّبُهُمْ فِيهِ، وَتَنْهَاهُمْ عَنْ ضِدِّهِ، وَتُرَهِّبُهُمْ مِنْهُ»(١).

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

«**الْمُرَادُ بِالْأُمِّيِّينَ**: الَّذِينَ لَا كِتَابَ عِنْدَهُمْ وَلَا أَثَرَ رِسَالَةٍ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَامْتَنَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِمْ مِنَّةً عَظِيمَةً أَعْظَمَ مِنْ مِنَّتِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَادِمُونَ لِلْعِلْمِ وَالْخَيْرِ، وَكَانُوا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، يَتَعَبَّدُونَ لِلْأَشْجَارِ وَالْأَصْنَامِ وَالْأَحْجَارِ، وَيَتَخَلَّقُونَ بِأَخْلَاقِ السِّبَاعِ الضَّارِيَةِ، يَأْكُلُ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْجَهْلِ بِعُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ، فَبَعَثَ اللهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَأَوْصَافَهُ الْجَمِيلَةَ وَصِدْقَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الْقَاطِعَةَ الْمُوجِبَةَ لِلْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بِأَنْ يَحُثَّهُمْ عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَيُفَصِّلَهَا لَهُمْ، وَيَزْجُرَهُمْ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾؛ أَيْ: عِلْمَ الْقُرْآنِ وَعِلْمَ السُّنَّةِ الْمُشْتَمِلَ عَلَىٰ عُلُومِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَكَانُوا بَعْدَ هَذَا التَّعْلِيمِ وَالتَّزْكِيَةِ مِنْهُ أَعْلَمَ الْخَلْقِ؛ بَلْ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٩٧-٨٩٨).

كَانُوا أَئِمَّةَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَأَكْمَلَ الْخَلْقِ أَخْلَاقًا، وَأَحْسَنَهُمْ هَدْيًا وَسَمْتًا، اهْتَدَوْا بِأَنْفُسِهِمْ، وَهَدَوْا غَيْرَهُمْ؛ فَصَارُوا أَئِمَّةَ الْمُهْتَدِينَ وَقَادَةَ الْمُتَّقِينَ، فَلِلَّهِ عَلَيْهِمْ بِبَعْثِهِ هَذَا الرَّسُولِ ﷺ أَكْمَلُ نِعْمَةٍ وَأَجَلُّ مِنْحَةٍ»(١).

فَلْتَجْعَلُوا النَّبِيَّ أُسْوَتَكُمْ فِي خِصَالِهِ، وَفِي خِلَالِهِ، وَفِي سَجَايَاهُ الَّتِي كَرَّمَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيَرْضَاهُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠١٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «النَّبِيُّ الْأُسْوَةُ ﷺ» - الْجُمُعَةُ: ١٢-٠٧-١٩٩٦م.

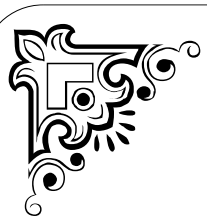

الْفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

دَلَائِلُ أَهَمِّيَّةِ آثَارِ الْمَرْءِ بَعْدَ مَوْتِهِ..... ٤

جُمْلَةُ صِفَاتٍ طَيِّبَةِ الْأَثَرِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ..... ١١

مَرَّ وَهَذَا أَثَرُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ! ١٣

مَرَّ وَهَذَا أَثَرُ عِبَادَتِهِ!..... ٥٤

مَرَّ وَهَذَا أَثَرُ خُلُقِهِ الْحَسَنِ!..... ٦١

الْأَثَرُ الطَّيِّبُ بَعْدَ الْمَمَاتِ لِلْعِلْمِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّدَقَاتِ..... ٧٥

احْذَرْ أَنْ تَمُرَّ وَلَا أَثَرَ طَيِّبَ لَكَ! ٨٩

أَعْلَىٰ النَّاسِ ذِكْرًا وَأَطْيَبُهُمْ أَثَرًا فِي التَّارِيخِ..... ٩٢